الفصل الأول

في الأصول الجَزَرية

1- آمين

2- أبلة

3- اطمأن

4- أول

5- تنور

6- توراة

7- خنزير

8- سموءل

9- عميت

10- كينونة

11- ناس

obeikandl.com

مدخل :

الاشتقاق والتعريب قضيتان من أهم القضايا التي واجهت اللغويين القدامى ، يختص الأول بدراسة الأصول العربية . والثاني يهتم بتحديد و تجديد الكلمات الأعجمية التي تعاملت معها العربية بأكثر من شكل فنتج عنها مصطلحات منها : (المعرب – الدخيل – المولد) .

وفيما يخص قضايا الدخيل الأجنبي فهو أمر طبيعي في لغات البشر جميعا نظرا لطبيعة اللغة الاجتماعية والتي تتطلب الاحتكاك المستمر بين البشر أوهذا شيء طبيعي في حياة اللغات . يقول مار أغناطيوس " إن العرب في الجاهلية والقرون الأولى للإسلام خالطوا المسيحيين من عرب وسريان ، في بلاد اليمن ونجد والحجاز ثم في بلاد الشام الفسيحة ... ثم في بلاد الجزيرة أي في ديار بني ربيعة والعراقين العربي والعجمي ، ثم في بلاد فارس وخراسان ... " 1 .

وإذا كان هذا التفاعل اللغوي قد حدث في العصر الجاهلي بكثرة ، فما بالنا بالعصر الإسلامي عصر الفتوح العظيم" وقد نجم عن هذا الاحتكاك وعن التطور الطبيعي للحضارة العربية أن ظهرت مستحدثات كثيرة لم يكن للعرب عهد بها من قبل في ميادين الاقتصاد والسياسة والاجتماع والإنتاج الفكري فانتقل من جراء ذلك إلى اللغة العربية وإلى اللغات العامية المتفرعة منها عدد كبير من مفردات اللغات الفارسية والسريانية واليونانية والتركية والكردية والقبطية والبربرية والقوطية " 2 .

أما إذا كان ما سموه دخيلا أو غير ذلك من لغات مجاورة تنتمي إلى الأسرة السامية فهو بلا شك عربي في الأساس ، وهذا ما قصده أغناطيوس جويدي في قوله " أما إذا كانت الكلمات دخيلة من أصول لغات سامية أخرى فإنه من الصعب أن يقطع المرء في أنها في تلك الحال مستعارة من لغة من تلك اللغات أو أنها أصيلة في العربية ، وهي عندئذ من المشترك بين هذه اللغات " 3 .

---

[1]- الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ، البطريرك مار أغناطيوس أفرام الأول , مجـ 23 / 213 .
[2]- فقه اللغة ، على عبد الواحد وافي ، 154 .
[3]- محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام ، أغناطيوس جويدي 66 .

obeikandi.com

هذه السمة المميزة مع التوسع في مفهوم اللغة العربية إلى اللغة (العروبية أو الجزرية أو السامية) تجعلنا نقر أن كل لفظ سامي له اشتقاق عربي ، أو سمه إن شئت (عروبيا جزريا) ، ومنه قسمنا هذا المبحث على الفصلين التاليين : يتناول الفصل الأول الأسماء ذات الأصل الجزري أو السامي المشترك ، وأسميناه : في الأصول الجزرية ، وكان منه ما أقر العلماء بعربيته التقليدية مثل : (أول – قيلولة وكينونة – اطمأن – عميت ...) . أو ما كان خاصا بأخوات العربية مثل : (سموأل) أو ما ظهر اشتراكه بين الساميات بوضوح مثل: (آمين – أبلة – أناس – توراة – تنور – خنزير) .على نحو ما سنرى بعد قليل.

وأما الفصل الثاني ، وعنوانه: في الأصول المعربة ، فقد تناول الباحث فيه بعض ما اختص بلغة غير سامية من قضايا الخلاف ، ولكنه دخل اللغات (السامية) من أكثر من طريق : من الفارسية ، مثل : (زئبق وديوان وحب وطيلسان وطست) ، ومن اليونانية ، مثل : (منديل) .

1- آمين :

آمين اسم فعل أمر بمعنى استجب مبني على الفتح ، وهو من الكلمات التي اختلفوا حولها في أكثر من أمر :

- الهمزة هل هي مقصورة أم ممدودة ؟

- النون هل هي مفتوحة أم مكسورة أم ساكنة ؟

- معناه هل هو بمعنى استجب أم هو من أسماء الله تعالى أم غير ذلك ؟

- أصله هل هو عربي أم أعجمي ؟ .

وكثير من هذه الخلافات ظهر في شروح الفصيح ، ومن ذلك ما ظهر عند ابن الجبّان في قوله : " وتقول عند الدعاء أمين بفتح النون من غير مد ، وعندي أنها بنيت لأنها ليست بعربية وأنها اسم الفعل

مثل أَيْهٍ وصهْ ومهْ ، ألا ترى أن المراد بـ (آمين) اللهم استجب وافعل مـا دعونـاك لـه ، وإنـما اختـيرت الفتحة لحصول اليـاء قبلهـا ، كـما اختـيرت الفتحـة في كيـفَ وأيـنَ و (ألمَ اللهُ ....) (آل عمـران / 1) والزيدينَ ، وقد يقال (آمين) بالمد وهذا يشهد بأن الكلمة ليست عربية ؛لأن كلام العـرب لـيس منـه (فاعيل) ... وقال الشاعر في قصر (أمين) : (طويل)

تباعَدَ مِنّي فُطحُلٌ وابنُ أمِّهِ أمينَ فزادَ اللهُ ما بنينا بُعدا

.. وقال آخر : (بسيط)

ياربِّ لا تسلبَنّي حبَّها أَبدا ويَرحمُ اللهُ عبدًا قالَ : آمِينا " 1 .

وكان ابن هشام اللخمي قد أظهر الخلاف في (آمين) عندما قال : " تأتي في أمين ثلاث لغـات القصر والمد وتشديد الميم ، وأمين اختلف فيه فقيل : إنه اسم من أسماء الفعل ، وإنه مبني ؛ لأنه وقع موقع فعل الدعاء ؛ وذلك لأنك إذا قلت أمين فمعناه : استجب لنا ، كما وقع صَهْ موقع اسكت ، وصهِ موقـع اكفـف ، فلـما كـان أمين على ما وصفنا كان حقه أن يبنى على السكون فالتقى في آخره ساكنان ففتح ولم يكسر لأجل الياء التـي قبـل آخره استثقالا للكسرة مع الياء ، كما قالوا مسلمينَ ، ... ووزنه فعيل " 2.

فابن هشام اللخمي يقدم اللفظ على أنه اسم فعل بمعنى اسـتجب مبنـي عـلى الفـتح حتـى يـرد عـلى الأخفش الذي جعله علما " وحكى أبو الحسن الأخفش أنه اسم أعجمي بمنزلة قابيل وهابيل ، فإن سمّي بـه لم ينصرف للتعريف والعجمة ، قال الشارح : والقول الأول هو المعوّل عليه وهو الذي يعضده الدليل والقيـاس . والله أعلم " 3 .

وكان ثعلب قد أقرّ القصر في الهمزة مستشهدا ، يظهر في " قوله : إذا دعـى الرجـل قلـت : أمـين رب العالمين بقصر الألف ، كما قال الشاعر :(طويل)

تباعَدَ مني فطحُلُ إن سألتُهُ أمينَ فزادَ اللهُ ما بنينا بُعدا " 4

---

[1]- شرح الفصيح في اللغة ، لابن الجبان 298- 299 .
[2]- شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي 245
[3]- شرح الفصيح ، للخمي 246 .
[4]- شرح الفصيح للخمي 244.

وكان ابن درستويه قد ذكر " أن القصر ليس بمعروف وإنما قصره الشاعر في هذا البيت للضرورة ، وروى البيت : (فآمين زاد الله ما بيننا بعدا) بالمد وتقديم الفاء ، فلا يكون لثعلب احتجاج"[1] .

ووافق الزمخشري ابن درستويه الرأي في عدم استعمال القصر في همزة (أمين) حيث عرض كلام ثعلب بتجويزه الوجهين : المد والقصر " وإذا دعا الرجل قلت أمين رب العالمين بقصر الألف ... وان شئت طوّلت الألف فقلت آمين ... ولا تشدّد الميم فإنه خطأ فإن العامة تشدّد الميم وتمد الهمزة ، وليس أمين بقصر الهمزة معروفا في الاستعمال وإنما قصره الشاعر ضرورة ، إن كان قصره " [2] .

فالزمخشري يشكك في رواية البيت بالقصر ولعله يوافق ابن درستويه في الرواية الثانية بالمد ، هذا المد رآه أبوعلي الفارسي زيادة على الهمزة التي هي أصل للإشباع " قال أبوعلي الفارسي إن المدّة (في آمين الممدودة) زائدة وإنما أشبعت فتحة الهمزة فتولدّت بعدها الألف كما فُعل بمنتزاح وبأنظور وتنقاد الصياريف وأشبعت الزاي من منتزح والظاء من فأنظر ، فنشأت بعدها الواو ، والراء من الصيارف فنشأت بعدها الياء ، والأصل القَصْر " [3] .

وكان بعض العلماء كما روي الزمخشري " يُجوّز كسر النون من آمين . واحتج بقول الشاعر : (بسيط)

ولا أقولُ إذا يومًا نُعيتَ لنا إلا أَمينِ إلـــــــــهَ الناسِ آمينِ

وإِنْ تُصبْكَ من الأيّامِ حادِثَة لم تبكِ منكَ على دُنيا ولا دينِ " [4] .

ورد الزمخشري بقوله " وهذا عندي على سبيل الوقف ولا يتبين الإعراب في الموقوف " [5] .

---

[1]- شرح الفصيح للخمي 245 .
[2]- شرح الفصيح ، للزمخشري 466 – 467 .
[3]- شرح الفصيح للخمي 245 .
[4]- شرح الفصيح ، للزمخشري 649 – 650 .
[5]- شرح الفصيح للزمخشري 650 .

وكان اللخمي قد أكّد أن النون مفتوحة وعليه رفض قول من قال : إن (أمين) " اسم من أسماء الله عز وجلّ ، وإن الألف في أوله ألف النداء ، وقد رد هذا القول بأنها لو كانت للنداء لضم آخر الاسم فقيل آمينُ "[1] .

ووافق الزمخشري على فتح النون في (آمين) للياء قبلها فرأى أنها " كلمة عبرانية مُعرّبة مبنية على الفتح للياء التي قبل نونها " [2] . كأنه يرى بقانون المخالفة بين الكسرة الطويلة والفتح .

وأضاف أبوعلي الفارسي رأيا جديدا حول معنى آمين " قال الفارسي هي جملة مركبة من فعل واسم ، معناه اللهم استجب لي ، قال ودليل ذلك أن موسى عليه السلام لما دعا على فرعون وأتباعه فقال: ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ [3] قال هارون عليه السلام : آمين ، فطبّق الجملة بالجملة " [4] .

ورفض أبو منصور الأزهري أن (آمين) اسم من أسماء الله تعالى " وقال مجاهد : آمين اسم من أسماء الله ، قال الأزهري وليس يصح ذلك " [5] .

***

وبنظرة مقارنة في اللغات السامية وما جاورها من حاميات ستتضح لنا مجموعة من الحقائق نقدمها مسبقا ، من أهم هذه الحقائق أن المقارنة باللغات السامية – أو الحامية – تظهر لنا أن (آمين) ممدودة الهمز ، وأن الكلمة من المشترك السامي الذي يعود بجذوره الثلاثة (أ م ن) إلى السامية الأم – وهي العربية الفصحى بكل تأكيد – ولكنه لما كان من الألفاظ التي انتشرت على لسان المتدينين فقد تنقل بين الألسن السامية جميعها ، ومن جاورها بالطبع ؛ بوصف أهلها من أصحاب الديانات السماوية ومن ثم تنتشر كلمة (آمين) بوصفها لفظا دينيا في كل أنحاء العالم .

---

[1]- شرح الفصيح للخمي 245 – 246 .
[2]- شرح الفصيح للزمخشري 467 .
3 - (يونس :10/ 88)
[4]- لسان العرب / أمن
[5]- لسان العرب / أمن

أما ما يخص حركة النون فلا تبين المقارنة بالساميات حقيقة الحركة لأنها – دون العربية – لغات أهملت الإعراب وسكنت معظم نهايات مفرداتها ، وعليه فإن حركة النون إنما هي نطق عربي خالص يدل – فيما أزعم – على أن أصل الصيغة إنما هو فعل ماض مبني على الفتح (أمنَ) ، أو فعل مضارع يدل على المتكلم (أومِن) بتخفيف الهمز ، جمدت صيغته الصرفية ومن ثم دلالته بثبات المقام الذي يقال فيه من حيث هو مقام القداسة والدعاء والخشوع ، يؤكد ذلك حيرة القدماء في وصف حركة النون فجاء منهم من قال بأن النون مكسورة أو قال بأنها ساكنة أو حتى مضمومة .

وكان من الباحثين المعاصرين من توافق رأيه مع رأي الزمخشري فرأى أن اللفظة (أمين) دخيلة من العبرية وأن اللفظ العبري – `amen – بمعنى تقبل أوأنها لفظة لم يطرأ عليها تغييرات تذكر عند دخولها العربية 1 .واستند في رؤيته إلى أن العبرية " قد احتكت بالعربية منذ فترة قديمة ، قبل ظهور الإسلام إذ استوطن اليهود في مجموعات منغلقة في منطقة ممتدة من يثرب حتى بلاد الشام وفي اليمن كذلك فاختلطوا بالعرب باتصال العرب باليهود في الحجاز ودخلت في العربية مصطلحات دينية " 2 .

وحيث إني أرى أن اللفظة عروبية جزرية قديمة فإن العبرية قد أخذتها من السامية الأم وتولدت الياء من الكسرة التي تلت الميم (آمِن) أو (أومن) لانتقالها من لسان إلى لسان . ثم لّما كان بنو إسرائيل من قوم فضلهم الله على العالمين في وقت ما بالأنبياء والرسل والنصوص المقدسة ، فقد انتشرت اللفظة على ألسنة الشعوب المجاورة حتى إننا نجدها في المصرية القديمة – من اللغات السامية الحامية – " (amen) تشير إلى الشيء المختفي فهي :

– اسم من أسماء الشيطان .

– اسم الإله المختفي في السماء .

---

[1]- انظر : المشترك والدخيل من اللغات السامية في العربية ، عبد الوهاب محمد عبد العالي , 92

[2]- المشترك والدخيل من اللغات السامية في العربية 91 - 92

– الشيء المختفي – المكان المختفي ، وهي نفسها في القبطية واليونانية " 1 . والكلمة القبطية كما يشير أحد الباحثين أصلها في الغالب من اللغة المصرية القديمة 2 . وكذلك اليونانية بتفاعلها مع المصريين أو منطقة الشام في تلك الآونة القديمة .

و ونظرا لهذا التفاعل بين لغات المنطقة وجدت اللفظة في السريانية والآرامية بصيغتها الممدودة أيضا وهي تنطق " بالحباص (المد بالياء) الذي عند الرهاويين ، بينما عند النصيبيين زلام شديد (كسر ممال لفتح) ، والشرقيون يزقفونها (يفتحون بالمد) . فالكلمة في السريانية الآرامية : ܐܡܝܢ " 3 .amen، وفي الآرامية أو السريانية مثل العربية تماما اسم فعل لا يسند إلى الضمائر 4 . وأصل الكلمة في العبرية " آمين אמן amen، ومعناه : في الحقيقة ، على وجه أكيد ، فليكن هذا " 5 .

وجاءت الكلمة في العربية الجنوبية (mn ’) آمين ورمز لها أصحاب المعجم السبئي بالرمز (†) لتدل على أن اللفظة مقتصرة على فترة التوحيد 6 . وهذا يدلل على صدق ما اتجهنا إليه من أن اللفظة انتشرت مع المتدينين وأصحاب الرسالات السماوية ، ويؤكد ما ذهبنا إليه من تجمد تصريف اللفظة في العصر الجاهلي السابق للإسلام حيث انتشرت عبادة الأوثان لفترة طويلة في الجزيرة العربية فلم يكن هناك بد من أن يأخذوا اللفظة كما هي من الأمم المجاورة وكأنه نوع من سياحة الألفاظ والذي يحدث فيه أن " تخرج كلمة من الكلمات من موطنها الأصلي فتستعيرها أمة من الأمم ، وعندئذ تغير هناك جلدها ، وتلبس ثوب هذه الأمة ، ... ثم تعود بعد فترة من الفترات ، قد تطول وقد تقصر ، إلى موطنها

[1] -E.A.Wallis : An Egyptian Hieroo-lyphic dictionary , 1/51 .

[2]- انظر : مفتاح اللغة المصرية القديمة وأنواع خطوطها ، أنطون ذكري 131 .

[3]- انظر بتصرف : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، إقليميس يوسف داود الموصلي 383 .

[4]- انظر : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية , 345 / الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية ، يعقوب أوجين منا , 339.

[5]- غرائب اللغة العربية ، الأب رفائيل نخلة اليسوعي 211 .

[6] -A.F.L Beeston , M.A.Chul, W.W.Mulle : Sabaic dictionary. P6 انظر:

الأصلي ، في ثوبها الجديد ، فتبدو كما لو كانت كلمة أجنبية ، مع أنها ليست في الحقيقة إلا اللفظة القديمة قامت بسياحة عبر حدودها الأصلية ، ثم آبت بعد غياب ، وقد تحول حالها وتبدل شكلها"[1].

وتأكيدا لما سبق نختم برأي د.عبد الرحمن السليمان خبير اللغات السامية حول اللفظة فيقول : " آمين هي كلمة تختم بها الصلوات معناها : إني أصدق وأثبت على الإيمان ويستعملها المسلمون والنصارى واليهود باللفظ ذاته والمعنى ذاته ، وهي من تراث أبينا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام . أما أصلها اللغوي فهي مشتقة من الجذر (أمن) الذي اشتق منه الإيمان ، ومعنى هذا الجذر الأساسي في اللغات السامية والحامية هو (صدّق ، ثبت) ثبت بالإيمان كما نرى في (أمِن) في العربية ، وفي (آمن) ومثله في الحبشية (أَمَن) (ثبُت) بضم الباء ، وفي الحميرية : (أمْنَت) : (أمانة) ، وفي السريانية : امن : أمين : (ثابت – قوي – سرمدي) ، وكذلك في العبرية : אמן : آمِن (آمين) وكذلك : אמנם: أمنم (حقا) ، والكلمة العبرية الأخيرة منصوبة على الحال بالميم وهو من بقايا الإعراب في الساميات الذي كان فيها بالميم ثم أصبح في العربية بالنون (التنوين) " [2] .

ويشير د .عبد الرحمن السليمان إلى اللفظة في الحاميات أيضا " ولقد وردت الكلمة في اللغات الحامية بنات عم اللغات السامية أذكر منها المصرية القديمة (من) ثبت – صدق ، ومن هذا الجذر اسم الإله المصري القديم (آمون) الذي كان يُعبد في (نو) والذي ورد في اسم الفرعون (توت عنخ آمون) وربما رد بعض الملاحدة الدهريين كلمة آمين إلى اللغة المصرية القديمة مثلما ردوا التوحيد الذي دعا إليه نبي الله موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام إلى ديانة إخناتون " [3] .

وهذا يؤكد أن المصرية القديمة قد اقترضت اللفظة من العبرية المجاورة وقد عاش بنو إسرائيل بينهم فترة طويلة ، ويؤكد أن الأصل في (آمين) جزري عروبي أخذته العبرية من السامية الأم وانتشر لفظا دينيا على معظم ألسنة المتدينين في العالم .

---

[1] - انظر في تفاصيل القانون : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، رمضان عبد التواب 148 – 154.

[2]- المعجم العربي التأثيلي ، ملاحظات اشتقاقية , عبد الرحمن السليمان , الجمعية الدولية لمترجمي العربية ، الشبكة الدولية ، موقع الكتروني ص 1 .

[3]- المعجم العربي التأثيلي ، عبد الرحمن السليمان موقع الكتروني

وعليه نقر بأن همزة (آمين) ممدودة لا مقصورة ونونها يغلب عليها الوقف بالسكون لأن مقام النطق بها هو ختام الدعاء ، يدلنا على ذلك ختام سورة الفاتحة ، وإن كانت استقرت لدى الصرفيين اسم فعل مبني على الفتح فهذا من وضع الصرفيين لورودها في الشعر مفتوحة النون أوكانت قد وردت مكسورة أيضا !! ، ولكن اللفظة استقرت في البني الصرفية العربية على حالها فعلا جامدا مبنيا على السكون ، وقد اختير الفتح في حالة الوصل إما تدليلا على أن أصله فعل ماض ، أو تشبيها له بجمع المذكر السالم من حيث مخالفة الكسرة الطويلة السابقة للنون ، ونزل بها القرآن الكريم في ختام سورة الفاتحة ، ومن ذهب من العامة في عصر ثعلب إلى تشديد الميم فهذا يفسر صوتيا تماثلا مع الصيغة السابقة عليها في سورة الفاتحة (الضالّين).

***

2- أُبُلّة :

من الكلمات التي أرجعها القدماء إلى أصل عربي وإن بدت عليهم حيرة واختلاف حول أصلها ومن ثم وزنها . قال ابن هشام اللخمي " وهي الأبلّة لمدينة تقرب من البصرة أوالأبلة أيضا تمر يرض بين حجرين ويحلب عليه لبن ، ووزن الأبلة فُعُلّة ، مثل غلفّة وقال أبو علي الفارسي : ولو قال قائل إن وزنها : أفعلّة والهمزة زائدة مثل إبلمة وأسنمة لكان قولا . وأما ابن السراج فذهب إلى الوجه الأول لأن فعلة عنده أكثر من أُفعلة فحملها على الأكثر أولى من حملها على الأقل " [1] .

ويشير اللغويون لأكثر من لفظة تحمل نفس الحروف منها : الأَبَلَة : الوخامة والثقل من الطعام ، والأَبَلَة : العاهة ، والأبلّة : تمر يرض بين حجرين ويحلب عليه لبن ، والأبلّة مكان بالبصرة ، البلد

[1]- شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي , 160 ، وجاء في المعرب للحواليقي بقلم المحقق (ف ع الرحيم) عن المدينة : هي ميناء قديم بالقرب من الساحل الشمالي للخليج العربي وفي العصور الإسلامية كانت الأبلة على دجلة عند مصب قناة البصرة قال ياقوت في المعجم الكبير : بلدة على شاطئ دجلة البصرة ... في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة وهي أقدم من البصرة ، لأن البصرة مصّرت في أيام عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسرى ، المعرب ، للحواليقي , 110 .

المعروف قرب البصرة من جانبها البحري ، قيل هو اسم نبطي 1 . وقال ابن دريد في الأبلة " تمر يحلب عليه لبن " 2 .

ويشير هنري عبودي في معجم الحضارات السامية إلى أكثر من موضع يحمل نفس الجذر (أ ب ل) منها : (إيبلا Ebla) : مدينة قديمة في سورية في الجنوب الغربي من حلب 3 .ومنها : (أبليّة Abilina) ولاية ربعية سورية كانت عاصمتها أبيلا ، كان يحكم هذه الولاية رئيس الربع ليسيانوس وذلك في العام الخامس عشر لحكم طيباريوس وكان حكام أبلية يقطنون في بعلبك 4 . ومنها (أبيلا Abila) مدينة سورية قديمة تقع في وادي بَرَدى عند سفح السلسلة الشرقية ، يرجّح أن اسمها مأخوذ من اللفظ العبري آبل ومعناه مرج 5 .

كما يشير هنري عبودي إلى اسم (إيبلا Ebla) بأنه " وجد مكتوبا بالرموز السومرية التي تعبر عن حرفي الهمزة والعين بمقطع صوتي واحد نظرا لانعدام حرف العين في اللغة السومرية ويمكن بالتالي أن يكون اسم المدينة عِبلا ومعناه الصخرة البيضاء أو الصلبة ، وتكون هذه التسمية أطلقت عليها لقيامها فوق أرض صخرية بيضاء من النوع الكلسي " 6 .

وجاء في (المغرب في ترتيب المعرب) " أبلّة البصرة موضع بها وهي فيما يقال إحدى جنان الأرض" 7 .

والموقع الجغرافي لمدينة (الأبلة) شمال الخليج العربي وجنوب العراق وقربها من الفرس ، وكذا المدن الأخرى المشار إليها في الشام جعل اللغويين يذهبون في تفسير هذا الجذر مذاهب شتى مختلطة ،

1- انظر : لسان العرب / أبل .
2- الاشتقاق لابن دريد 182 ، 314 .
3- معجم الحضارات السامية 171.
4- معجم الحضارات السامية ، 40 .
5- معجم الحضارات السامية , 45 .
6- معجم الحضارات السامية ، 174 .
7- المغرب في ترتيب المعرب ، أبو الفتح ناصر الدين المطرزي 1 / 23 .

يربطها بعضهم بالعربية وآخرون بالنبطية وبالنطق الفارسي، وفريق ثالث بالأكدية ورابع بالسريانية وخامس بالعبرية !.

ومنهم من ربط هذا الجذر(أ ب ل) بالعربية إضافة لما ذكرناه من قبل أيشير دكتور محمود محمد طناحي إلى أن " من غريب هذه المادة : كلمة الأَبَلَة وهي الثقل والطّلبة جاء في الحديث : (كل مال أدّيت زكاته فقد ذهبت أبلته) : ويرى الزمخشري في (أبَلَته) منقلبة عن واو ، وعلى هذا فهو من الكلأ الوبيل ، ... وفي الحديث (تأبّل آدم على حواء بعد مقتل ابنه كذا وكذا عاما) أي توحش عنها وهذا مأخوذ من أبَلَت الإبل وتأبلت : إذا تركت الماء " 1 .

وأشار ابن دريد في الجمهرة إلى المدينة وسر وضع لفظها فقال: " والأبلة كانت تسمى بالنبطية بامرأة كانت تسكنها يقال لها هُوب ، حمارة ، فماتت فجاء قوم من النبط فطلبوها فقيل لهم : هوب ليكا ، أي ليس ، فغلطت الفرس فقالوا : هوب لت ، فعربتها العرب فقالوا : الأبلة "2 .

ويشير الجواليقي إلى رواية مشابهة عن الأصمعي في أصل وضع (الأبلّة) " قال أبو حاتم : قال الأصمعي : أصل هذا الاسم بالنبطية ، كانت الأبلة قبل الإسلام وكان العمّال يعملون في الأرضين فإذا كان الليل وضعوا دوابّهم عند امرأة كانت تسمى هوبا ، فجاءوا فلم يروها فقالوا : هوبا لَتّا أي ذهب . . . " 3 .

ويتضح من الرواية السابقة تخبط بعض من علماء العرب القدامى في تفسير ما يرتبط باللغات السامية ، وهذا ما أشار إليه د.إبراهيم السامرائي فيقول عن كلام الجواليقي وكلام مثله للخفاجي في شفاء الغليل " وجماع هذه الأقوال تفصح عن جهلهم وتخبطهم في معرفة هذه المواد القديمة ولم يكن الخفاجي أسعد حظا من الجواليقي في هذا الضرب من العلم اللغوي " 4 . الغريب في الأمر أن السامرائي نفسه لم يفسر لنا اللفظ ! .

---

[1]- من أسرار اللغة في الكتاب والسنة معجم لغوي ثقافي ، محمود محمد الطناحي 65 .
[2] - جمهرة اللغة لابن دريد , 3 / 1325 .
[3]- المعرب للجواليقي , 109 .
[4]- دراسات في اللغتين السيريانية والعربية، إبراهيم السامرائي ، 26 .

وكان موسكاتي قد أشار إلى عدد من الصيغ النادرة توجد في الأكدية والعربية ، صيغ مع تضعيف الأصل الثالث : منها : " قَبُرّ qaburr ، وقُبَرّ qubarr ، وقُبُرّ quburr ، وهذه كلها نادرة نوعا ما وتوجد في المقام الأول في الأكدية والعربية ، ففي الأكدية تنتج أسماء ونعوت للمبالغة ، وفي العربية تستعمل نعوت مثل قمدّ qumudd القوي الشديد " 1 .

وربما هذا يؤيد ما ذهب إليه دكتور (ف عبد الرحيم) حيث أشار إلى أن (الأبلّة) " هو بالأكدية abullu (أبلّ) أي باب المدينة ، وتعرف بالمصادر اليونانية ... (أبولوكس) " 2 . ورفض ف عبد الرحيم ما ذهب إليه الجواليقي من رواية الأصمعي فيقول : "وأما ما ذكره المؤلف في اشتقاقه فلا يعبأ به"3.

وربط المعجميون السريانيون أصل (أبل) بالزهد والتنسّك والحزن فعند بروكلمان : ܐܒܝܠܐ (abīlo، زاهد 4 . وكذلك عند مارأغناطيوس : أبل ܐܒܠ ebal سريانية : زهد تنسك ... الأبيل : ܐܒܝܠܐ abilo : الحزين " 5 .

وأشار جزينيوس إلى وجود الجذر في العبرية وهو يشير إلى النبات والخضرة " אבל abal، أبَلَ ، نما العشب - אבל abel، (ابِل) مرج أخضر " 6 . وفي موضع آخر : " אבל : وله ارتباط بالكلأ والعشب وفي السريانية ܐܒܠ ، ܒܠ، (يِبلا – يِبل) ، وفي التلمود יבלא (yeblā) (عشب) 7 .

وكان drake قد أشار إلى أن الجذر (H . B . L) " في العبرية HABAL في معنى : يحزن – الرثاء " 8 . وهو ما يشير إلى اجتماع معنيين : الحزن – العشب الأخضر ، في الجذر العبري ! .

---

[1]- انظر : مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، سباتينيو موسكاتي و آخرون , 135 بتصرف .
[2]- انظر : المعرب للجواليقي , 110 .
[3]- المرجع السابق نفسه .
[4] -C. Brockelmann: Semitische sprachwissen schaft , 54
[5]- الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ، أغناطيوس إفرام الأول , 171
[6] -W.Gesenius: Hebrew and English lexicon of the old testament, 5
[7] -W.Gesenius: 1119
[8] -E. Drake : Discoveries in Hebrew, Gaelic, Gothic, Anglo-Saxon, Latin, Basque , and other Caucasic languages . 39

وقد وقف جزينيوس حائرا أمام الصيغة المشابهة لكلمة (أبلـة) في العبريـة فيقـول : " אוביל (óbīl) تحتاج إلى توضيح ولا يتضح مدى أصالتها " 1 .

والعرض السابق لدلالات الجذر (أبل) وما اشتق منه في اللغات السامية يوقفنا حائرين أمـام دلالة الجذر ، وربما يظهر لبعضنا أنه يمكن حسـم دلالتـه في اسـم البلـدة (الأبلّـة) باسـتخراج المعنـى المشترك بين العربية والسريانية والعبرية وهو يشير إلى معنى الحـزن والزهـد ، فلعـل (الأبلّـة) تشـير إلى موضع غلب على سكانه الزهد والحزن والتقشف !! . ولكني أميل إلى الدلالـة التـي تشـير إلى العشـب والخضرة ، يؤكد ذلك ما سبق أن ذكره المطرزي في المغرب من شهرتها بأنها إحدى جنان الأرض .

ووقوفنا حائرين أمام دلالة الجذر (أ ب ل) لا يعني أن نختلف في تصريفه ، فقـد وضـح ممـا سبق من مقارنة بالساميات أن الجذر هو (أ ب ل) : فَعَل ، فالهمزة أصلية وهو ما يشير إلى الوزن الـذي أشار إليه ابن هشام اللخمي (فُعُلّة) موافقا ابن السراج الذي حملها على الأكثر .

***

3- اطمأن :

أشار الزمخشري إلى خلاف قائم حول أصل الفعل (اطمأنّ) حيث " قال الخليل : أصله ثلاثي وقد دخلته زيادة ، إلا أنه لم يبينها ، وقال بعضهم : أصله من الطمن وهو المكان المنخفض وقال بعضهم وأظنه الفراء : هو رباعي لأنه يقال طمأنته " 2 . ويتضح من ذلك أن الخلاف حـول الهمـزة : أزائـدة أم أصلية ؟ .

وكان سيبويه قد ذهب إلى أنها أصلية وأن الكلمة " مقلوب ، وأن أصله من طمأن وخالفه أبـو عمر الجرمي فرأى ضد ذلك ، وحجة سيبويه فيه أن (طأمن) غير ذي زيادة واطمأن ذو زيادة والزيادة إذا لحقت الكلمة لحقها ضرب من الوهن لذلك " 3 .

---

[1] -W.Gesenius: Hebrew and English lexicon of the old testament, 1119

[2]- شرح الفصيح ، للزمخشري , 502 .

[3]- الخصائص لابن جني , 2 / 74 .

وذهب أبو منصور الأزهري إلى أن الهمزة في (اطمأن) زائدة " مجتلبة لالتقاء الساكنين ، إذا قلت اطمأنّ ، فإذا قلت طامنت على فاعلت فلا همز فيه والله أعلم ، إلا أن يقول قائل : إن الهمزة لما لزمت اطمأن وهمزوا الطمأنينة همزوا كل فعل فيه ، وطمن غير مستعمل في الكلام والله أعلم " 1 . وذهب إلى أنه يقال " طامن ظهره إذا حني ظهره بغير همز ؛ لأن الهمزة التي في اطمأن أدخلت فيها حذار الجمع بين الساكنين " 2 . وقال أيضا : " الهمزة التي تزاد لئلا يجتمع ساكنان نحو اطمأن واشمأز وازبأز وما شاكلها " 3 . وكان ابن جني قد ذهب إلى أن الهمزة المزيدة وسطا إنما هي بدل من الألف 4 .

ولم يذهب أحد من المعاصرين إلى أصالة الهمزة في (اطمأن) بل ذهبوا إلى زيادتها وبصفة عامة فإن " الأصول الرباعية قد أجمع مؤخرا على أنها ثلاثية مزاد فيها " 5 .

وعليه فقد ذهب د.مصطفى التوني إلى أن " الهمزة قد وردت مزيدة في غير أول الكلمة في القرآن الكريم في كلمتين فقط هما : اشمأزّت في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الزمر :39/ 45)] ، واطمأن وتصريفاتها في مثل قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾ (الحج :22/ 11) " 6 .

ويفسر د. مصطفى التوني زيادة الهمز في مثل هذا الموضع تفسيرا صوتيا فهو تولد للهمزة " حيث تولدت الهمزة لمد الألف ، فهنا موضع مدا والمد زيادة المدة الزمنية التي يستغرقها النطق بالصوت أو بعبارة أخرى إضافة ألف مدية أو حركة على الألف الأصلية حسب قدر المد المطلوب " 7 .

1- لسان العرب / طمن / و انظر : تهذيب اللغة للأزهري (370 هـ) ج15 / 682 ،13 / 377 .
2- لسان العرب / طمن / وانظر تهذيب اللغة 13 / 377 .
3 - تهذيب اللغة , 15 / 682
4- ينظر: الخصائص لابن جني , 1 / 143/ الهمزة فى اللغة العربية دراسة لغوية , مصطفى التونى 100 .
5- الألفاظ العربية و الفلسفة اللغوية ، جرجي زيدان , 45 .
6- الهمزة في اللغة العربية دراسة لغوية 100 .
7- الهمزة في اللغة العربية دراسة لغوية ، 82

ولعل الذين أشاروا إلى أن الكلمة ثلاثية – وهي من (الطمن) المنخفض من الأرض أو معنى السكون في لسان العرب " طامن الشيء : سكّنه " 1 - كانوا على صواب ، وقد حل المشكلة أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب وهو يشير إلى أن " اعتقادهم أن الهمزة في كلمة مثل (اطمأنّ) أصلية يكذبه أن المادة في العبرية (طَمن) tāman ليس فيها الهمز ، والتعليل العلمي لوجود الهمز فيها في العربية أن الكلمة أصلها : اطمانّ على وزن احمارّ واصفارّ ثم استخدمت الكلمة في الشعر بكثرة فاضطر الشاعر إلى التخلص من التقاء الساكنين على قول النحاة بإقحام همزة كما قال كثير عزة : (طويل)

وأنْتَ ابنُ لَيْلَى خيرُ قومِك مَشهَدًا إذا ما احْمَأَرّتْ بالعبيطِ العواملُ " 2 .

والدلالة المشتركة تؤيده فيما ذهب إليه ؛ وهو يؤكد في موضع آخر أن " اطمأنّ معناها هبط أو هدأ واستوى وسكن ، والثلاثي منها وإن لم يكن مستعملا في العربية فهو في العبرية טָמַן tāma بمعنى أخفى أ والشيء إذا خفي هدأ واستقر ... وإذا كان الأمر كذلك فإن الفعل (طمأن) يعد بناء ثانويا حديثا في العربية وكذلك مقلوبه (طأمن) 3 .

وكان بعض النحاة قد وقعوا في وهم أصالة الهمزة فوزنوا الفعل (اطمأنّ) على (افعلّ) " قال أبو الفتح : اعلم أن أصل افعَلَّ افعلَّل ، فعلى هذا ينبغي أن يكون أصل اطمأن اطمأنن " 4 . أمّا من سار على الصواب وقال بزيادة الهمزة فقد وقعوا في وهم آخر وهو وهم التقاء الساكنين في صيغة (اطمان) ، وأمثالها فزادت الهمزة في رأيهم كما زادت في اشمأز ، وفي قراءة من قرأ ﴿ ولا الضألين ﴾ [الفاتحة 1 / 7] وفي قراءة من قرأ (جأن) في قوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ (الرحمن 55/ 39) .

---

[1]- لسان العرب / طمن
[2]- فصول في فقه العربية ، رمضان عبد التواب , 49
[3]- فصول في فقه العربية ، 209
[4] - المنصف لابن جني 1 / 90

ويوضح لنا الدكتور رمضان عبد التواب الحقيقة في هـذا الـوهم " والحقيقـة أنـه لا وجـود لمـا يسمى بالتقاء الساكنين هنا وقد وقع النحويون العرب في هذا الوهم بسبب الخط العربي فظنـوا الألـف حرفا ساكنا وهو في الواقع رمز الفتحة الطويلة وإنما نحن في هذه الأمثلة أمام ما يسـمى بـالمقطع الرابـع من المقاطع الصوتية " 1 .

والمقطع الرابع " مقطع طويل مغلق حركته طويلة مثل : بابْ (bab) في الوقـف .. والمقطـع الرابع لا يجوز في العربية الفصحى ، إلا في أواخر الكلمة في حالة الوقف عليها ، أو في وسطها بشرط أن يكون المقطع التالي له ، مبتدئا بصامت يماثل الصامت الذي ختم هو به وهذه الحالة الأخيرة هي ما عبر عنها اللغويون العرب القدامى (بالتقاء الساكنين على حدهما) وهو أن يكون الأول حرف مد ، والثـاني مدغما في مثله ؛ نحو (دابّة) و(شابّة) و (الضالّين) و (مدهامّتان) و(احمارّ) ... "2 .

وهي صـيغة لا يجـوز وقوعهـا في الشـعر – إلا في الوقـف عـلى القافيـة – لطبيعـة العـروض والأوزان أفليس في البحور الستة عشر تفعيلة تقبل هذا المقطع " وإذا كان الشعر العربي لا يقبل مثل هذا النوع من المقاطع فإن الشاعر إذا أراد استخدام كلمة تحتوي على هذا المقطع الجائز في النثر أقحم همـزة في الكلمة أو بعبارة أخرى قسم المقطع إلى مقطعين " 3 .

ثم حدث أن انتشر استعمال الكلمة مهموزة واستعملت المشـتقات منهـا واسـتقرت في النظـام اللغوي ونزل بها القرآن ونظم بها الشعر " ولا يفوتنـا هنـا أن نشـير إلى أن الكلمـة بعـد أن تشـيع عـلى الألسنة تأخذ مجراها الطبيعي في اللغة باستعمال باقي المشتقات منهـا فـلا يعـترض علينـا بكلـمات مثـل القشعريرة والطمأنينة والاكفهرار والزمهرير ، وغير ذلـك ، لأن هـذه الكلـمات وأمثالهـا مـأخوذة مـن أفعالها بعد أن حدث فيها التطور" 4 .

---

[1]- فصول في فقه العربية ، 194

[2] - فصول في فقه العربية ، 194- 195

[3]- فصول في فقه العربية ، 196

[4]- فصول في فقه العربية ، 224

والذي يؤكد أصالة الفعل (طمن טָמַן ṭāman) في العبرية وروده في الإصحاح الثاني عشر من سفر الخروج الفقرة الثانية عشرة :

וַיַּךְ אֶת־הַמִּצְרִי וַיִּטְמְנֵהוּ (قراءته : وَيَخْ إِتْ هَمَّصْرِي وَيِطْمنهُو)

وترجمته : (فقتل المصري وطمره / أخفاه)

וַיִּטְמְנֵהוּ wayaṭmnhó : مضارع دخلت عليه الواو القالبة مسند للغائب مع ضمير الغائب للمفعول به ، والماضي منه טָמַן (ṭāman) = أخفى ، وهو يقابل في الآرامية ṭmar ، وفي العربية : طمر ، وله علاقة كذلك بالفعل العربي : اطمأن = هدأ ، استقر [1] .

***

4- أوّل :

لفظة اختلف فيها البصريون والكوفيون هل هو (وول) أم هو (أول) ، وبمعنى آخر : هل همزته أصلية أم منقلبة ؟ .

يشير إلى هذا الخلاف ابن هشام اللخمي في شرحه فيقول : " ووزن (أوّل) : أفعل ، فالفاء واو والعين واو فأصله أواول ، ولكن لما اكتنفت الألف واوان ووليت الأخيرة منها الطرف فضعفت ، وكانت الكلمة جمعا والجمع مستثقل ؛ قلبت الأخيرة منهما همزة . وتأنيث الأول : الأولى ، ووزنها فعلى ، وأصلها وولى فكرهوا الجمع بين واوين ، فقلبوا الواو المضمومة همزة ، كما قالوا : أجوه ووجوه وأقتت ووقت ، وهذا مذهب البصريين " [2] .

ويشير اللخمي إلى الرأي المقابل لرأي البصريين : " أما الكوفيون فالأول عندهم من آل يؤول ، وأصله أأول ، فالفاء همزة والعين واو ، فقلبت الهمزة التي هي فاء واوا فاجتمع واوان فأدغمت إحداهما في الأخرى فقالوا : أوّل ، والتأويل عندهم تفعيل من آل ، فاعلم ذلك " [3] .

---

[1]- انظر : في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية ، رمضان عبد التواب , 169

[2]- شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي , 264

[3]- شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي , 264

obeikandl.com

وعليه فوزن (أوّل) عند الفريقين هو (أفعل) لكن اختلفوا في تفسير أصل الفاء فالبصريون واو اجتمعت مع الواو الأخرى ، والكوفيون همزة قلبت واو وأدغمت . ونفهم من ذلك أن الفعل عند البصريين هو (وَوَل) وإن لم يذكر الشارح ذلك صراحة ، كما نفهم أيضا أن الفعل عند الكوفيين هو (أوَل) تحول إلى آل يؤول مثل إعلال قول > قال .

ووقف القدماء في حيرة من أمرهم فاختلفوا أيضا ، وتخبطوا ما بين أفعل وفوعل ، فالأزهري يعيد ما نسبه اللخمي للكوفيين وينسبه لسيبويه " قال أبو منصور : ولم يبين أصل أول واشتقاقه من اللغة ... قال : وأقرب ما يحضرني في اشتقاق الأول أنه أفعل من آل يئول وأولى فعلى منه . قال : وكان (أوَل) في الأصل أأول فقلبت الهمزة الثانية واوا وأدغمت في الواو الأخرى فقيل أوّل . قال وأراه قول سيبويه " 1 .

في حين أن أبا محمد بن بَرّي نسب كلاما آخر لسيبويه وأصحابه وهو كلام البصريين عند اللخمي حيث " ثبت أن الصحيح فيها أنها أفعَلَ من وَوَل فهي من باب دودن وكوكب ما جاء فاؤه وعينه من موضع واحد . قال وهذا مذهب سيبويه وأصحابه " 2 .

وجاء الجوهري برأي ثالث في (أول) " قال الجوهري : أصل أوّل أوءل على أفعل مهموز الأوسط قلبت الهمزة واوا وأدغم ، يدل على ذلك قولهم هذا أوّل منك والجمع الأوائل والأوالي أيضا على القلب ... قال الشيخ أبو محمد بن بَرّي رحمه الله : قوله أصل أوّل أوءل هو قول مرغوب عنه لأنه كان يجب على هذا إذا خففت همزته أن يقال فيه أوَل " 3 .

وأشار ابن دريد إلى وزن آخر وهو (فوعل لا أفعل) " وأول : قال قوم : هو فوعل ليس أفعل ، كان الأصل (ووّل) فقلبت الواو الأولى همزة وأدغمت واو فوعل في عين الفعل وهي واو فقالوا أول" 4 .

والكلام في (أول) و(أولى) يقودنا إلى قضيتين تقليديتين كما جاء عند الفريقين وهما :

1- اجتماع واوين في أول الكلمة وقلب إحداهما همزة وهو موضوعنا الرئيس .

---

[1]- انظر : لسان العرب / وأل
[2]- انظر : لسان العرب / وأل
[3]- انظر : لسان العرب / وأل
[4]- جمهرة اللغة ، لابن دريد , 2 / 1177

2- إعلال الواو في آل من الفعل الأجوف (أَوَل) وهو موضوع فرعي .

ففي اجتماع واوين أول الكلمة وقلب إحداهما همزة نجد له تعليلا صوتيا لدى القدماء في مثل (وَولى) في حين لا نجد تعليلا مماثلا لقلبها في (وَوّل) مما يدل على أن في الأمر شيء من الخلل ، يقرر الصرفيون القدماء أن الواو إذا انضمت في أول الكلمة – أو حتى في وسطها – صارت همزة ، يقول ابن جني " متى انضمت الواو ضما لازما غير عارض فهمزها جائز حسن " 1 . و يقول ابن هشام " تبدل الهمزة جوازا إبدالا مطردا إن انضمت غير طرف و لا ملحقة ولا مدغم فيها " 2 . وهذا يدلنا على أن الإبدال هنا جائز لا واجب !! 3 . ، وهذا يعني أن الصورتين لابد أن توجدان معا وهذا ليس موجودا في الواقع !! .

ويعلل القدماء لتحول الواو المضمومة إلى همزة ، يقول سيبويه " بعض العرب تهمز لوقوع الضمة في الواو وأنها إذا انضمت خفيت الضمة فيها كما تخفى الكسرة في الياء ... و لا تهمز أفعل في بنات الياء لأن الضمة فيها أخف عليهم كما أن الياء وبعدها الواو أخف عليهم من الواو وبعدها الواو"4 .

وفي اجتماع واوين في مثل (ووّل) يرى الصرفيون أنه " إذا التقت واوان في أول الكلمة لم يكن من همز الأولى بد " 5 .

وجاء برجشتراسر ليقول عكس ما قاله ابن دريد في (أوّل) حيث رأى أن كلمة أول " يلزم أن تكون أأول على وزن أفعل " 6 . وهو مذهب الكوفيين كما ذكر اللخمي ومعنى ذلك أن الهمزة هنا زائدة

---

[1]- المنصف لابن جني 1/ 212 – 218 – 229 ، (وانظر أيضا : جمهرة اللغة 1 / 55 – 507 ، المقتضب ، للمبرد 1 / 93 ، شرح المفصل لابن يعيش 10 / 11 – 12 – 79 / سر صناعة الإعراب 1 / 111 – 119، الكتاب لسيبويه 4 / 351)

[2]- نزهة الطرف فى علم الصرف لابن هشام 151 – 152 .

[3]- انظر في ذلك: - النحو الوافي ، عباس حسن 4 / 764 – 766 - المنصف ، لابن جني 1 / 217 – 218 - التيسير التام للإعلال والإبدال والإدغام , محمود أحمد المكاوي 8-9 .

[4]- الكتاب ، لسيبويه 4 / 351 - وانظر : 359

[5]- انظر في ذلك: - شرح المفصل 10 / 10 - المنصف 1 / 217 - نزهة الطرف في علم الصرف ، ابن هشام , 151 - النحو الوافي ، عباس حسن 4 / 764 . - تيسير الإعلال والابدال ، عبد العليم إبراهيم 23

[6]- التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر, 40

، وليست منقلبة عن أصل . وعلق المحقق على ذلك بقوله " وهذا على عكس ما يراه نحاة العرب من أن أولى " أصلها وولى وأن أول فاؤها وعينها واو " 1 .

وعلّل بعض المعاصرين لقلب الواو في مثل (وول) همزة أوعلة ذلك " أن العرب استثقلوا اجتماع المثلين في أول الكلمة ؛ ولذلك قَلّ نحو : ببر ، وددن ، والواوان إذا وقعتا في الصدر ، والواو أثقل حروف العلة ؛ قلبت أولاهما همزة وجوبا ، إلا إذا كانت مدة منقلبة عن حرف زائد مثل (ووري) في وارى فإنه لا يجب قلب الأولى همزة لعروض الثانية من جهتين ، من جهة الزيادة ومن جهة انقلابها من الألف ولكن المد مخففا للثقل " 2 .

ونجد كثيرا من علماء اللغة المعاصرين- والحداثيين منهم – قد ساروا على نفس المنهج التقليدي وراحوا يبحثون عن علل ترتدي ثوب المعاصرة ، حيث نجد الدكتور عبد الصبور شاهين يرجع قلب الواو همزة في أول الكلمة عامة إلى " النموذج النطقي الذي جرى عليه اللسان العربي من عدم البدء بحركة ، وأمثال هذه الكلمات – بشرطها – تبدأ بحركات يصعب نطقها ، (wawāsil) وواصل ،التي تكتب عند التحليل إلى حركات (ua-ua-sil) ، فجرى النطق العربي للكلمة على نبر قطعها الأول تفاديا للنطق بحركة في بدء الكلمة فصارت كتابتها (awāsil) أواصل ، وهكذا تقاس جميع الأمثلة المنضوية في القاعدة والمستوفية لشروطها " 3 .

والمعروف أن الكلمة العربية لا تبدأ بحركة ، لكن الواو هنا ليست حركة بل هي شبه حركة (أو شبه صامت) ، وعاد دكتور عبد الصبور شاهين ليسوي بين مفهوم الحركة ونصف الحركة فقال " وقد مضت بعض اللهجات في تطبيق هذه الكراهة إلى أبعد غاية ، حتى إنها أحسّت في الواو وهي (

---

[1]- التطور النحوي للغة العربية ، 40

[2]- كفاية المبتدى فى التصريف ، محمد بن بير على البركلى 201 / وانظر : التيسير التام للإعلال والإبدال والإدغام ، محمود المكاوي , 8 .

[3]- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، عبد الصبور شاهين , 92 - 129

obeikandi.com

نصف حركة) أحد عنصري المزدوج فأسقطت هذا العنصر وأثبتت العنصر الآخر تتشكل به البداية الجديدة (النبرة أو الهمزة) " 1 .

وفي موضع آخر يرى أن البداية (بواوين) هي حركة مزدوجة تحتاج إلى تصحيح في العربية وقد " تعرضت هذه الكلمات وأشباهها لصعوبة البدء بحركة مزدوجة وهو ما تتجنبه العربية كما سبق أن قلنا فجيء بالهمزة في موضعها هذا تصحيحا لبداية المقطع ، حتى يصير عربيا سليما وأمارة على أن النبر في اللغة قد يتخذ صورة الضغطة الحنجرية " 2 .

وفي أفضل آرائه يرى دكتور عبد الصبور شاهين أن (وولى) على وزن (فولى) " لأن هذه الواو الثانية هي ضمة الواو الأولى فهي واو كتابة لا نطقا ، ولما كانت مجرد حركة فهي ليست من الكلمة بل وقعت موقعها حفاظا على الإيقاع المقطعي في الصيغة فوزن الكلمة على حالها (وولَى : فولى) وعلى الأصل : (وُوْلِى : فُعْلِى) وكان العدول عن الواو في أول الكلمة إلى الهمزة نظرا للصعوبة المقطعية " 3 .

إذن ليس هناك واوان – بحسب المعطيات الصوتية المعاصرة – في أول كلمة (وولى) عند د. عبد الصبور شاهين ، وهذا كلام جديد يشير إلى اضطراب آخر من نوع معاصر في علاج القضية لدى المعاصرين ، فالكلمة " نموذج تحرك الواو بحركة من جنسها أي بضمة طويلة وقعت موقع العين كما في (وولى أولى) وتأصيل التتابع في هذه الكلمة هو :

wuwlaa ← wuulaa ← uulaa،

وقد كان همز المقطع هنا تخلصا من هذا التجانس الثقيل الذي توهمه الصرفيون واوين بسبب خلطهم بين الرمز الكتابي ومدلوله الصوتي " 4 .

ومن علماء الدراسات السامية المقارنة من سار على درب الصرفيين القدماء من إقرار أن (وولى) قد بدأت بالواوين ، ومنهم أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب ، فهو يعالج القضية من منظور

---

[1]- القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث 129

[2]- المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين 178

[3]- المنهج الصوتي للبنية العربية 178 .

[4]- المنهج الصوتي للبنية العربية 179 .

معاصر آخر وهو قانون المخالفة حيث يقول " ومن قواعد الصرفيين في العربية أن الواو تقلب همزة إذا تصدرت قبل واو متحركة مطلقا أو ساكنة متأصلة الواوية ... ويجري مثل ذلك في أنثى (الأول) وجمعها فإن الأصل فيهما أن يكون (وولى) و (وول) ولكنهما في العربية (أولى) و (أول) وليس ذلك كله إلا أثر من آثار قانون المخالفة " [1] .وإلى مثل هذا ذهب كثير من المعاصرين [2] .

ولقد أشرنا إلى تلك الآراء حول (أول وأولى) لدى القدماء والمعاصرين على حد سواء ووصفناها بالمتخبطة أو لحقها خلل ، فليس هناك طريق واحد ساروا عليه جميعا ، بل رأينا لدى القدماء أكثر من أصل لـ (أول) ، ما بين أفعل ، وفوعل ، وفعأل (عند من رأى أن أصلها أوأل) ، وكذا لدى المعاصرين ما بين (فولى وفعلى) في أولى ، وقانون التخالف أو التهرب من الحركة المزدوجة بنبر المقطع ، وإني لأتساءل : من أين جاء القدماء – ومن ثم المعاصرون – بهذه الصيغة التي تبدأ بالواوين ، وأين دليلهم على وجودها في الأصل ؟! .

إن الصرفيين في العادة ما يناقشون تطورا من صيغة إلى صيغة أخرى ويهبون لتفسير التطور الحاصل في حالة وجود الأمارات الدالة على تواجد صيغتين بالفعل ، فأين هذا من (أول – أولى) وأصلهما المزعوم (وول – وولى) ؟! ، لقد انساق العلماء في تلك القضية خلف عدد من الكلمات بدأت بالواو ثم حدث أن انقلبت الواو فيها إلى همزة من أمثلة (أرخ – الأصيد – الإكاف – أقتت – أجوه – إسادة) وهذه الأمثلة قُبل القول فيها بالتطور لوجود الصيغة الواوية بشكل ما بجوار الصيغة المهموزة وفسر فيها اللغويون تفسيراتهم التي قبلتها قوانين التطور اللغوي [3] .

حقا قد تقلب الواو المضمومة في أول الكلمة همزة في مثل أجوه ووجوه " إن الهمزة اجتلبت هنا أولا في الفعل (يوجه و يؤجه) لا كما يظن علماء اللغة من أن الهمزة جلبت لضم الواو " [4] . وفسرها

---

[1]- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، رمضان عبد التواب , 64 .
[2]- انظر : في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية ، غالب فاضل المطلبي , 288
[3]- انظر في ذلك : الجهود الصوتية لابن دريد الأردي في ضوء الدرس الصوتي ، السيد محمد منازع 277 .
[4]- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، رمضان عبد التواب , 119 – 120 / مشكلة الهمزة العربية ، رمضان عبد التواب 154 .

أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب بقانون المخالفة الصوتية " ومن قواعد الصرفيين في العربية أن الواو تقلب همزة إذا تصدرت قبل واو متحركة مطلقا أو ساكنة متأصلة الواوية نحو أواصل وأواق فإن الأصل فيهما : وواصل وكذلك وواق لأنهما جمعان لكلمتي : واصلة ، واقية ، ففاء كل منهما واو " [1] .

وقس على ذلك ما كان مضموم الهمزة في أول الكلمة وهو مقلوب عن الواو ، فإذا كانت (أولى) مضمومة الهمزة في أول الكلمة وهو السر في اندفاع الصرفيين لتلك التفسيرات – المردودة فيما نرى – فما بالهم في تفسير أول وهي ليست مضمومة الهمزة ولا جاءت شواهد تدل على أن أصله وول مطلقا ، وإذا كان السبب في المخالفة من الناحية الصوتية هو " أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة ولتيسير المجهود العضلي يقلب أحد الصوتين صوتا آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهودا عضليا كاللام والميم والنون " [2] . فأين إذا السهولة في الهمزة وهي من أصعب الأصوات نطقا ؟! .

إن الحقيقة غير ذلك مطلقا ، تلك الحقيقة التي ستريحنا من عناء التخبط الذي افتعله الصرفيون القدماء ومن ثم من تبعهم من المعاصرين ، حول أصل أول وأولى . نعم لقد افتعلوه ومن ثم ظهر لكل فريق رأيه الخاص في التفسير، والحقيقة بسيطة جدا وهي أن الهمزة في الجذر (أول) أصيلة ؛ وبالتالي هي أصل في مؤنثه (أولى).

***

وتدلنا المقارنة بالساميات على تلك الحقيقة البسيطة للغاية ، حقيقة ستنبهنا إلى أمر هام وهو أننا لا ينبغي أن نقبل كل تفسيرات الصرفيين الوصفية دون وجود دلائل تاريخية قائمة تؤيد تلك الرؤى والقضايا من أصلها . أما أن يذهب هذا العالم أو ذاك لافتراض جدلي يغرقنا معه في غياهب الخلاف اللغوي قرونا طويلة دون دليل ملموس فهو من قبيل ما يمكن أن أسميه (الحذلقة العلمية) . وربما يتحذلق الناطقون

[1]- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، 64 .
[2]- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه , 64.

العوام فيهمزون ما ليس أصله الهمز مبالغة في التفصح وتقليدا للغة الفصحى 1 . أما أن يتحذلق العلماء ويفترضون أصولا لا أساس لها على أرض الواقع اللغوي فهو أمر خطير، يضيع علينا جهودا كبيرة تهدر في البحث والدرس اللغوي .

وسنتأمل معا عدة دلائل ومؤشرات تؤيد رؤية الكوفيين في أن أصل أول (أأول) ، وفي أن فعله (أول) تطور بالإعلال إلى (آل) ؛ وبالتالي نحكم بأصالة الهمزة في هذه الصيغة :

1- اللفظ (أول) يشير إلى العدد الترتيبي من العدد (واحد) وهو اسم تفضيل على وزن (أفعل) ، وقد يظن الناظر فيه أن فاءه واو ولكن الصواب أن فاءه همزة وأصله (أأول) حدث فيه تجاور لمتماثلين (الهمزتين لا الواوين) الأمر الذي تطلب معه تسهيلا للنطق ، وعادة ما يكون تسهيل الهمز في تلك الحالات كما يشير برجشتراسر بالحذف من عدة طرق " بالإبدال واوا أو ياءا أو بغير عوض ، وأقدم ما حدث ذلك في اللغة السامية الأم قبل أن تفترق الأقوام الناطقون بها . والقانون الصوتي لهذا الحذف الأقدم هو أنه إذا توالى همزتان أولاهما في أول المقطع . والثانية في آخره حذفت الثانية ومدت الحركة قبلها مثال ذلك كلمة (آو) أصلها (أَأْو) 2 .

وكان من المتوقع أن تصير (أأول) إلى (آول) طبقا لنظرية برجشتراسر التي يرجعها إلى قانون المخالفة ، فعنده " هذا الباب من تخفيف الهمز كله باب من أبواب التخالف المذكور آنفا ضد التشابه ، وذلك أن سبب الحذف والإبدال فيه توالي حرفين متماثلين ... إن الهمزة أصعب إخراجا من غيرها من الحروف فينبغي لإخراجها تغليق فم الحنجرة وهو مفتوح في غيرها فينقطع الزفير المتواصل الخروج أثناء الكلام " 3 .

---

[1]- انظر في هذه المواضع : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه , 118 - 119 / مشكلة الهمزة العربية , 153

[2]- التطور النحوي للغة العربية ، 39

[3]- التطور النحوي للغة العربية 42 .

ولكن ما حدث أن سلكت (أأول) طريقا آخر في المخالفة غير سقوط الهمزة الثانية ولكن بإبدالها واوا أدغمت في الواو الموجودة بالفعل وهي عين الكلمة فصارت (أوّل) ، هذا الأمر جعل برجشتراسر يعد هذا التطور شاذا عن قاعدة (أأ> آ) فيقول :" ومثال شاذ من هذا النوع كلمة (أول) فإنها كان يلزم فيها أن تكون (أأول) على وزن (أفعل) كما أن المؤنث (أولى) على وزن (فعلى) ، أأول لم تصر (آول) كما أن (أأو) صارت (آو) ؛ بل عوض عن مد الحركة بتشديد الحرف بعدها فصارت الكلمة أوّل "[1].

فالذي حدث في أول هو توالي همزتين لا واوين كما زعم القدماء ، والهمزة الأولى هي همزة (أفعل) التفضيل الذي مؤنثه فعلى ، ووجود الهمزة في صيغة (فعلى) دليل على أصالتها ، لو قسناها مثلا بـ (أكبر وكبرى) .

وفي القرآن الكريم وردت (أولى وأول) باللفظ المهموز في جميع المواضع فوردت لفظة أولى في سبعة عشر موضعا [2] . منه قوله تعالى : ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ (طه 20/ 21) . ومنه أيضا قوله تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ (الدخان 44/ 35) . وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الواقعة 56/ 62) وغيرها كثير .

ولفظ (أول) ورد كذلك في القرآن الكريم في ثلاثة وعشرين موضعا [3] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الزمر39/ 12). ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ (طه 20/ 65) . ومنه أيضا : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ

[1] - التطور النحوي للغة العربية 40 .

[2] - في السور : آل عمران 21 – 5 طه آية 21 – وآية 51 و آية 133 – سورة القصص 43 ، 70 – سورة الأحزاب 6 - 33 – سورة الصافات 59 – سورة الدخان 35 ، 56 – النجم 25 ، 50 ، 56 – الواقعة 62 – النازعات 25 - الأعلى 18 – الليل 13- الضحى 4 .

[3] - وهي كما يلي : البقرة 41 – آل عمران 96 - الأنعام 14 ، 94 ، 110 ، 163 – الأعراف 143 – التوبة 13 ، 83 ، 108 – الإسراء 7، 51 – الكهف 48 – طه 65 – الأنبياء 104 – الشعراء 51 – يس 79 – الزمر 12 – فصلت 21- الزخرف 81 - ق 15 – الحديد 3 – الحشر 2 .

لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (الأنبياء 21/ 104) . ولم يرد عند القراء في القراءات القرآنية من قرأ بواوين ؛ ومن هنا نقول بأن التخالف قد حدث بين همزتين لا بين واوين كما زعم المعاصرون التقليديون .!

2- يؤكد وجهتنا السابقة ما ذكره بروكلمان في أصل أول ، حيث يشير بروكلمان إلى أن العدد الترتيبي (واحد) يسمى في العربية (أول) وأصله (أأول) ، هذا على الرغم من أنه لا يبنى من اللفظ نفسه تماما " كما في اللغات الهند أوربية ولكن من أصول مختلفة في اللغات السامية :

- ففي اللغة العربية : أوّل (أأول الأصل)، والمؤنث أولى .
- وفي العبرية : rison (مأخوذ من ros = رأس) .
- وفي الحبشية : kadami .
- وفي الآرامية : kadamaya .
- وفي الأشورية يمكن للعدد الأصل : isten يمكن أن يستخدم عددا ترتيبيا كذلك " [1] .
- وجاء مثله في العربية الجنوبية باستخدام (𐩤𐩣𐩲) (ق د م) بمعنى أول .[2]

3- وقد يرد علينا بأن كلام برجشتراسرو بروكلمان مجرد آراء لا تزيد عن آراء الصرفيين القائمة بدون دليل من الواقع اللغوي ، إلا أننا نقدم دليلين آخرين على أصالة الهمزة في (أول) ، أولهما من العبرية ، فبالرغم من إشارة بروكلمان السابقة لما يقابل (أول) في العبرية : rison (مأخوذ من ros = رأس) ؛ إلا أنها صيغة مجازية تستعمل كما في قولنا في العربية مثلا " على رأس الجيش " ؛ حيث يؤكد لنا جزينيوس وجود الجذر (أول) في العبرية بصورتين كلتاهما مهموزتان ، إحداهما يائية العين والأخرى بالواو ، وربما كانتا نادرتين في الاستعمال ، وهما : " אול بجوار איל ،(أول – أي ل) وفي العربية أول " [3]. ومعلوم أن التبادل بين العلل وبعضها وبين أنصافها كثير جدا في الساميات .

[1] - فقه اللغات السامية , كارل بروكلمان 107
[2] - انظر : مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، محمد عبد القادر بافقيه وآخرون , 82
[3] - W.Gesenius: Hebrew and English lexicon , 1119

obeikandl.com

4- أما الدليل الآخر فهو ما جاء في معجم الآلفـاظ العربيـة الجنوبيـة في لغـات النقـوش اليمنية[1] و يدلل على أصالة الهمزة في الجذر وقد ورد منه :

أول : (فعل) : بمعنى أحضر[1] جاء

أول ... ن : (مصدر) : بمعنى إعادة

ت أول : (فعل) : بمعنى عاد .1

ويساعدنا هذا الجزء من النقش المسندي التالي على التأكد من ذلك ، حيث يظهر فيه " المصدر كما يظهر في الكتابة ، بناؤه مثل بناء الماضي المذكر المفرد ، سوى أنه يجوز إلحاق نون بآخره ، وذلك اختيار لا يفيد بمعنى مميز ... :

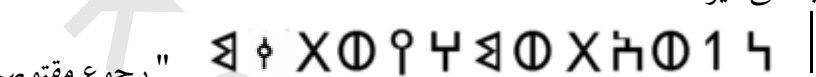

" رجوع مقتويهم " 2 .

وحروفه : ت أ و ل ن / م ق ت و ي ه م و .

5- بعد أن اطمأن قلبي للنتائج السابقة ، تواصلت مع الدكتور عبـد الـرحمن السـليمان خبـير اللغات الجزرية لأخذ رأيه في أصالة الهمز في (أول) بناء على المعطيات القويـة التـي لـدينا ، فـوافقني الرأي ، وأكد لي أن اللفظة (أول) توجد في البابلية القديمة بالهمز ؛ حيث كان في المجتمع البابلي ثلاث طبقات اجتماعية : طبقة الأحرار (أويل) وطبقة العمال والفلاحين (مُشكين) ومنهـا كلمـة مسـكين في العربية ، وهي لفظة سومرية ، وطبقة العبيد (وَرْد) من الورود : الهبـوط أو النـزول إلى الحضـيض ، .. وتعني كلمة أويل تأثيليا : الأول وهي في البابلية بالألف3 .

6- أما فيما يخص الإعلال في الفعل (أول > آل) ، فإن الصرفيين التقليديين يقررون أنـه " إذا كانت كل من الواو والياء – بحسب الأصل المعجمي – في صيغة صرفية بحيث يكون قبل كل مـنهما

[1] - انظر : مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، 355

[2] - انظر : مختارات من النقوش اليمنية القديمة ،74

[3] - انظر هذا التواصل : ملاحظات ومقارنات لغوية ، عبد الرحمن السليمان ، ص 4 الشبكة الدولية .

فتحة مثل : قال ، باع ، فوزنهما (فَعَلَ) بثلاث فتحات وأصلهما المعجمي (قَ وَ لَ ، ب َيَ عَ) ، فقبل الواو فتحة بحسب الأصل المعجمي ، وقبل الياء فتحة كذلك ولهذا قلبت كل منهما ألفا " 1 .

وقد اختلف المعاصرون في تفسير التطور الحاصل في مثل (أوَل > آل) ، فذهب بعضهم الى القول بقلب الواو (أو الياء في مواضع) ألفا ، تكرارا لما ذهب إليه القدماء من اللغويين 2 . في حين فسر آخرون هذا القلب بعلة صوتية وهي كراهة توالي الأمثال في العربية 3، وذهب فريق ثالث إلى سقوط الواو (أو الياء) ومن ثم تجتمع الفتحتان لذا صاغوا القانون التالي الذي ينص على أنه " إذا التقت حركتان متماثلتان التقاء مباشرا بعد حذف الواو أو الياء فإنهما يمتزجان ويتحدان في حركة واحدة ممدودة من جنسها فيصيران ألفا وواوا وياء ممدودة"4.

ورفض بعض منهم مبدأ الحذف واتحاد الحركات بعد الحذف ، فذهب د. إبراهيم أنيس إلى أنه " لا بد من سكون الواو أو الياء لينتج ذلك الصوت المركب الذي يسميه الغربيون diphthong وتحول هذا الصوت إلى صوت لين خالص أمر معترف به بينهم تؤيده المقارنة بين العربية وأخواتها الساميات ، بل وبين اللهجات الحديثة أيضا" 5 .

وجاءت جهود الدكتور رمضان عبد التواب رائدة في هذا المجال ، تكشف عن المراحل السابقة التي لم يذكرها سابقوه مستندا إلى أدلة من الركام اللغوي مرة ومن اللغات السامية مرة أخرى ومن القوانين الصوتية مرة ثالثة ، ووضحت هذه الجهود أن كثيرا من الألفاظ التي عدها علماء العربية

1 - التمهيد في النحو والصرف ، د. محمد مصطفى رضوان 581

2 - انظر في أمثلة هذا الإعلال : سر صناعة الإعراب لابن جني 1 / 25 , شرح المفصل لابن يعيش 10 / 16 , الممتع فى التصريف ، لابن عصفور 2 / 438

3 - انظر: في تفصيل هذه القضية : الجهود الصوتية لابن دريد الأزدي في ضوء الدرس الصوتي , للمؤلف 266

4 - انظر : فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان ، 42 ، 144 ، 149 – التطور النحوي للغة العربية , 48 ، 60 - دروس في علم أصوات العربية , جان كانتينيو ، 137 – وانظر أيضا : الجهود الصوتية لابن دريد الأزدي في ضوء الدرس الصوتي 267 .

5 - الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس 248 – 249 .

القدماء من أمثلة الإعلال قد مرت بمراحل في أثناء تطورها ، كالأفعال الجوفاء والناقصة التي مرت بأربع مراحل في أثناء تطورها وهي : التصحيح والتسكين وانكماش الصوت المركب ثم مرحلة الفتح الخالص ويمثلها التدرج الصوتي التالي :

a < e < ay < aya

a < o < aw < awa ... 1 .

ويتوافق ما ذكرناه في صيغة (أول) في النقوش اليمنية القديمة مع ما توصل إليه أستاذنا الدكتور طارق النجار في دراسته عن تلك النقوش التي أثبتت وجود الصيغ غير المعلة في العربية الجنوبية ، وتؤكد تلك النقوش أن عدم الإعلال كان الأصل السائد في العربية الجنوبية ، وأن العربية الشمالية قد ورثت بعض آثار عدم الإعلال في بعض ما يستحق الإعلال مثل : استحوذ واستنوق 2 أبوصفها ركاما لغويا يشير إلى أصل الظاهرة ، وشاهدا من الواقع اللغوي على صحة القول بأن مثل الجذر (أَوَل) قد أُعِل في العربية الفصحى إلى (آل).

***

5- تنور :

لفظة انتشرت في معظم اللغات القديمة السامية والحامية والهند أوربية بشكل حار معه اللغويون ، ولفظها يشير إلى احتمالية كبيرة – ستتأكد بعد قليل – لعروبة الجذر ، ولكنهم اختلفوا في أصل الجذر ، ظهر ذلك في اختلافهم في الأوزان الصرفية التي قدّموها للكلمة وحيرتهم في الأصل الذي اشتقت منه .

1 - انظر في ذلك : بحوث و مقالات في اللغة 59 – 60 , المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي291-298 / لحن العامة والتطور اللغوى رمضان عبد التواب , 374 / وانظر : الجهود الصوتية لابن دريد الأزدي في ضوء الدرس الصوتي 270 .

2- انظر : الأصول المرفوضة عند النحويين العرب في ضوء النقوش المسندية ، طارق محمد عبد العزيز النجار , كلية التربية جامعة عين شمس ، تحت النشر , ص 26 .

و في شروح الفصيح نجد ابن الجبان هو من أثار تلك القضية الخلافية فقال : " أما التنور فليس له عندنا اشتقاق ، وقال بعضهم : اشتقاقه من النار ، وزعم أنه في الأصل : نوّور ثم قلب فصار : وَنّور ، ثم أبدلت الواو تاء فصار : تنور ، كما أبدلت واو (والله) تاء فقيل : تالله ، ولم يأت في كلام العرب فُعّول بالضم والتشديد إلا الُّسُّبّوح والقُدوس والذُّروح " [1] .

وطرح هذا الخلاف أيضا كثير من القدماء ، فهذا ابن جني في الخصائص يختلف مع ثعلب ؛ حيث " ذهب أحمد بن يحيى في تنور إلى أنه تفعول من النار ، ونعوذ بالله من عدم التوفيق هذا ، على سَدَاد هذا الرجل وتميّزه من أكثر أصحابه ؛ ولو كان تفعولا من النار لوجب أن يقال فيه تنوور ... وإنما تنّور فعّول من لفظ (ت ن ر) وهو أصل لم يستعمل إلا في هذا الحرف وبالزيادة كما ترى ومثله ما لم يستعمل إلا بالزيادة كثير ، منه حوشب وكوكب " [2] .

ويميل ابن جني – مع شيء من التردد والحيرة – إلى القول بعروبة اللفظة " لكونه في لغة العرب غير منقول إليها ، وإنما هو وفاق وقع ولو كان منقولا إلى اللغة العربية من غيرها لوجب أن يكون أيضا وفاقا بين جميع اللغات وغيرها " [3] . ثم يعود ابن جني ؛ لتردده وحيرته أمام اللفظ ، فيقول : " وقد يجوز أيضا أن يكون وفاقا وقع بين لغتين أو ثلاث أو نحو ذلك ثم انتشر بالنقل في جميعها وما أقرب هذا في نفسي " [4] .

ولم تكن حيرة ابن جني أمام اللفظ بدعا بين القدماء ، فابن دريد ذهب إلى أن " التنور فارسي معرب لا تعرف له العرب اسما غير هذا " [5]. وجاء في الجمهرة أيضا : " قال أبو حاتم : التنور ليس بعربي صحيح ، ولم تعرف له العرب اسما غير التنور فلذلك جاء في التنزيل : ﴿ وفار التنور﴾ ؛ لأنهم

---

[1]- شرح الفصيح في اللغة ، لابن الجبان , 209

[2]- الخصائص, 3 / 285

[3]- الخصائص, 3 / 286

[4]- الخصائص, 3 / 286

[5] - جمهرة اللغة 3/ 1326 ، انظر : المعرب , 213 .

خوطبوا بما عرفوا . " [1] . وفي المعرب : روي عن ابن عباس أنه قال : التنور بكل لسان عربي وعجمي ، وعن عليّ : التنور وجه الأرض [2] .

وفي التهذيب : " وقيل في التنور أقوال : قيل : التنور وجه الأرض .. وقيل أيضا أن التنور وجه الصبح . وروي عن ابن عباس أنه قال : .. التنور الذي بالجزيرة وهي عين الورد والله أعلم بما أراد . وعن علي رضي الله عنه : التنور تنوير الصبح . وعن عكرمة : التنور وجه الأرض . .. وقال الليث : التنور عمّت بكل لسان وصاحبه تنار . قول من قال أن التنور عمت بكل لسان يدل على أن الأصل في الاسم عجمي فعربتها العرب ، فصار عربيا على بناء فعّول والدليل على ذلك أن أصل بنائه (تنر) ولا يعرف في كلام العرب لأنه مهمل . وهو نظير ما دخل في كلام العرب من كلام العجم مثل الديباج والدينار والسندس والإستبرق وما أشبهها . ولما تكلمت بها العرب صارت عربية "[3] .

وقال أبو الفتح الهمذاني : كان الأصل نوور فاجتمع واوان وضمة وتشديد فاستثقل ذلك فقلبوا عين الفعل إلى فائه فصار ونور فأبدلوا من الواو تاء كقولهم تولج في وولج [4] .

وتعددت رؤى الباحثين المعاصرين في تأصيل (تنّور) وكل أدلى بدلوه ربما عن سبب قومي متعصب وربما عن سبب علمي خالص ؛ فذهب د. أحمد شاكر إلى أن " الكلمة عربية وأن هذا البناء إن كان نادرا فليس دليلا على أنه خارج عن لغتهم ، واستدل بقول الأزهري : ووجود الكلمات في بعض اللغات الأخرى بهذا المعنى لا يدل على نقلها إلى العربية منها بل لعلها نقلت من العربية إليها والعربية من أقدم اللغات في الدنيا " [5] .

---

[1] - جمهرة اللغة 1 / 395 . ونص الآية (هود 11/ 40) (المؤمنون 23/ 27) .
[2]- انظر : المعرب ، 213
[3]- تهذيب اللغة ، للأزهري 14 / 269- 270 ، وانظر كذلك : المعرب ، للجواليقي , 213 ، وانظر : رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية لابن كمال باشا الوزير 131 .
[4]- انظر : رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية ، 131
[5]- انظر : فصول في فقه العربية , 362

واشتراط اللغويين للكلمة كي تكون من المشترك بين اللغات وهو الاستعمال بنفس المعنى فإذا كان معناه في إحدى اللغتين غير معناه في الأخرى لا يكون من اللغات المشتركة 1 ، هذا الشرط كان مما زاد اللغويين حيرة إذ إن الكلمة لها نفس المعنى في كل اللغات التي تستعملها " وأصل معنى التنور الكانون الذي كان يخبز فيه " 2 .

هذا الأمر جعل بعض الباحثين المعاصرين يبحثون عن دلالة خاصة للفظ يمكن نسبتها للعربية وكان للدكتورعلي فهمي خشيم رأي خاص في اللفظة ، فهو يرى بداية " أن ابن منظور على صواب في قوله إن الجذر (تنر) لا نعرفه في كلام العرب لأنه مهمل ، لكنه ليس مهملا في لغة عروبية أخرى وهي البربرية (الأمازيغية) ففي هذه اللغة نجد كلمة (تنيري) وهي تعني البادية ، البر، الصحراء ، الأرض المنبسطة أي وجه الأرض ..وهذا يدل دلالة قاطعة على أن الكلمة عروبية أصيلة وجذرها (ت ن ر) " 3 .

وراقت الدلالة (وجه الأرض) للرجل الذي يدعو إلى توسيع مفهوم العروبة في القرآن الكريم ، وهي رواية سبقت عن عليّ كرم الله وجهه في المعرّب أو عن عكرمة عند الأزهري ، " وهذا ما يتفق مع سياق قصة الطوفان ، أن تمطر السماء مطرا دافقا وأن تنفجر الأرض بالماء أو تفيض به متدفقا من الأنهار ، في الوقت نفسه ؛ وبذا فإن (وفار التنور) = وفاض وجه الأرض " 4 .

ولكن مراد فرج المحامي ذهب إلى أن الكلمة عبرية مكونة من لفظتين وجمع في معناها الدلالتين : " التنور الكانون يخبز فيه ، (وفار التنور) ، التنور وجه الأرض وكل مفجر ماء ، هو عبريا (تنّور) نطقه عربيا مركبا من (تَنْ) ... – ومنه الـ (أتّون) الموقد في اللغتين ، والعامة تخففه – ثم من نور بمعنى النار أي أتّون النار " 5 . والغريب أن نفس الباحث ذهب في موضع آخر إلى أن "التنور مأخوذ من النور"6.

---

[1]- انظر : رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية ، 133
[2]- انظر : المعرب ، 214
[3]- هل في القرآن أعجمي ؟ 51
[4]- هل في القرآن أعجمي ؟ 52
[5]- ملتقى اللغتين العبرية والعربية ، مراد فرج المحامي. جـ 2 (328 – 329)
[6]- ملتقى اللغتين العبرية والعربية , جـ 1 (563 – 564)

ولعله بني رؤيته المتداخلة من خلال ما عرضه جيزينيوس من الجذر السامي " נור (نور) وهو مهمل في العبرية ، وفي العربية نار ، نور ، وفي السريانية : ܢܘܪ (nōr) (نار) ، وفي المندعية : מנורת (منورت) (مشاعل) ، وفي الأشورية : tinuru (فرن) " 1 .

أو أنه توافق مع ما أشار إليه ابن بارون من أن " معنى אור ór، (أ و ر) بالعربية هو أوار أي حرارة الشمس أو الفرن وأن هذا المعنى موجود في العبارة אור כַּשְׂדִּים (تقرأ : أور خَشْديم) ، أور الكلدانيين (سفر التكوين 11 : 31) 2 . ويتشابه هذا الرأي مع الرأي القائل " إنها مكونة من كلمة (تن) بمعنى دخان في الآرامية و(نور) التي معناها النار " 3 .

وعرض دكتور إبراهيم السامرائي رأيا مخالفا في تنور " Tannour : شبه كوارة واسعة البطن من طين تثبت في الأرض تسجر بالنار ويخبز بها ، من ܬܢܘܪܐ (tannurā) ، تنَّور ، أتون ... وهو بالفارسية أيضا (تنور) مخففا " 4 . وقد يظهر من تفسيره هذا أنه يرى الكلمة سريانية ، لكنه سرعان ما عاد ليقول : " وأنا أميل إلى أن الأصل في (تنور) هو الأصل الفارسي وأن الحاجة إليه جعلت الاسم شائعا في غير لغة واحدة . وهو في العربية الفصيحة كما في الألسن الدارجة معروف متداول " 5 .

ولكن أغناطيوس إفرام الأول أكد أن اللفظة سريانية – فيما يراه – وقد تكون من السامية الأم طبقا لرؤيته ؛ فعنده أن " أقدم ما ورد لفظ التنور في التوراة في عهد إبراهيم الخليل (وإذا بتنور يدخّن) سفر التكوين 15 : 17) 6 . وعلى ذلك خرج لنا بما سمّاه " صفوة هذا البحث : إن التنور إما لفظ سرياني – في ما نرى – وإما ورد في اللغة السامية القدمى ومنها سرى تداوله إلى اللغات الشرقية " 7 .

---

[1] -W.Gesenius: Hebrew and English lexicon of the old testament, 632

[2]- المعاجم العبرية دراسة مقارنة ، سلوى ناظم , 188

[3]- الساميون ولغاتهم ، حسن ظاظا , 123

[4]- دراسات في اللغتين السيريانية والعربية ، إبراهيم السامرائي , 48 / وانظر : الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية ، داود الجلبي الموصلي , 27

[5]- دراسات في اللغتين السيريانية والعربية، 49

[6]- الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ، أغناطيوس إفرام الأول ، مجلد 23 , 337

[7]- الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ، مجلد 23 , 338

هذا رأي أغناطيوس في حين رأي رفائيل نخلة اليسوعي أن اللفظة من الكلمات المقيسة من الآرامية " تنور ܬܢܘܪ tanouro من : ܒܝܬ ܬܢܘܪ beytnouro : مكان النار " 1 .

وراق هذا التخريج لمحقق (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب) فعاد يكرر نفس الكلام حيث تتركب عنده " هذه اللفظة من اللغة الآرامية من كلمتين اثنتين من كلمة (بيت ܒܝܬ bayto) وكلمة (نار nuro) وهذا المزج هو الذي أعطانا تنور ܒܝܬ ܬܢܘܪ " 2 . beytnouro .

ورأي آخر يراه د. حسن ظاظا وهو أن اللفظة مما يرجح أن مصدرها هو العراق القديم المتوسع في استخدام النار قديما هناك حتى في الأغراض الصناعية كعمل الفخار الذي بدأ مبكرا جدا " 3 . وفي موضع آخر ينسب أصلها إلى الأكادية فيقول : " والظاهر أن الكلمة أقدم من ذلك بكثير فهي صيغة اسمية مبتدئة بالتاء من مادة (ن أ ر – ن و ر) في اللغة الأكادية ومعناها اشتعل والتهب وأضاء ، واستعمل الأكاديون كلمة (تنور) ولكن بكسر التاء بنفس المعنى الذي تدل عليه الكلمة في الآرامية والعربية " 4 .

ثم جاء مؤخرا د.عبد الرحمن السليمان ليعرض لنا المشكلة وحلّها " فكلمة تنور حار أوائل اللغويين فيها وقالوا : هي من نار ثم من (نور) وحاروا في تائها فالتاء لا تكون اسم آلة ... إلخ واليوم نعرف أنها دخيلة من السومرية أي لا علاقة لها بنار أو بنور " 5 . ولم يبن كلامه على هوى ، بل " لقد أثبتت المكتشفات اللغوية أن الكلمة دخيلة من السومرية ، فهذا فض للخلاف بخصوص (تنور) إن جاز التعبير"6.

وكان موسكاتي قد أكّد أن الوزن (تَقْبور taqbur) موجود بالفعل في اللغات السامية 7 . ويؤكد ذلك وجود اللفظة في معظم اللغات السامية وفي الحامية وفي لغات أخرى .

---

[1]- غرائب اللغة العربية ، الأب رفائيل نخلة اليسوعي , 175
[2]- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ، للسيوطي , 80
[3]- الساميون ولغاتهم ، حسن ظاظا , 123
[4]- الساميون ولغاتهم ، 123
[5]- ملاحظات ومقارنات لغوية ، عبد الرحمن السليمان ,الجمعية الدولية لمترجمي العربية موقع إلكتروني ، ص2
[6]- ملاحظات ومقارنات لغوية ، عبد الرحمن السليمان , ص1 .
[7]- انظر : مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، سباتينيو موسكاتي و آخرون , 139

ونظريا نتوقع أن كل عالم سوف ينسب الكلمة إلى لغته ، ولو كان ذلك صائبا لوجدنا أن اللفظة قد تفرّق دمها بين القبائل !!. فالكلمة موجودة في :

- السريانية ܬܢܘܪܐ tannurā [1] .
- وفي الآرامية tannura [2] .
- وفي العبرية من الأسماء المذكرة תנור تنور tannur [3] .
- وفي الأشورية tinûru [4] .
- وفي الأكادية tinuru [5] .
- وتوجد أيضا خارج الساميات : فهي موجودة بالفعل في الفارسية القديمة [6]
- وفي الأردية : (تندور) بقلب إحدى النونين دالا [7] .
- وفي الأبستاقية tanura أوفي الفهلوية tanura [8] .
- وفي المصرية القديمة (ث ن ن و ر) أ وفي اليونانية (ثَنّوريون) thannourion [9] .

تداخل كبير في تأصيل الكلمة !! يظهر هذا التداخل المعبر عن عدم الاستقرار على لغة محددة أكثر وأكثر فيما ذهب إليه فرنكل من " أن التنور بالعربية مأخوذ من الآرامية ولكنه بالآرامية دخيل من الإيرانية ويراه فقهاء اللغة الإيرانية من الأصل السامي " [10] .!!

---

[1] -L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , 394

[2]- اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية , 65

[3]- دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال , 97 / وانظر : العبرية لهجة عربية عادية ، دراسة لغوية مقارنة بين اللغة العربية والعبرية ، سلامة سليم 189 .

[4]- المشترك والدخيل من اللغات السامية في العربية , 77 / معجم مفردات المشترك السامي ، 101

[5]- المشترك والدخيل من اللغات السامية في العربية ، 77

[6]- انظر : الساميون ولغاتهم ، حسن ظاظا , 123 / التعريب في القديم والحديث مع معاجم الألفاظ المعربة ، محمد حسن عبد العزيز , 336

[7]- المعرب ، 214

[8]- المعرب ، 214

[9]- هل في القرآن أعجمي ؟ ، 50

[10]- انظر : المعرب , 214

obeikandi.com

والذي نلاحظه في تلك اللغات أنها جميعا في الجزء الشمالي لمنطقة الجزيرة العربية الأمر الذي جعلنا نأخذ بالرأي القائل" إن هذه اللفظة من لغة الشعب الذي عاش في تلك المنطقة قبل ظهور الساميين والآراميين وأخذها الشعبان بمعناها الأصلي ، و لا مانع أن تكون العرب قد أخذتها من ذاك الأصل المشترك 1 . ولكن الذي أصبح لا شك فيه بعد هذا العرض أن الكلمة كانت موجودة في السامية الأم بكل تأكيد .

***

6 - توراة :

اختلف في وزنها واشتقاقها كل من البصريين والكوفيين ، بالرغم من أنها عبرية تخص الكتاب المنزّل على موسى عليه السلام ، إلا أنها تدخل في الأصول العروبية ، فقد نسبها القدامى إلى أصل عربي ولم يكونوا مخطئين في ذلك . ولقد اختلفوا حولها ، ووجدنا رأي البصريين عند اللخمي ولم يرد في الشروح رأي غيرهم ، قال اللخمي " وتوراة عند البصريين فوعلة من وَريَ الزَّند ، وأصلها : وَوْراه ، فانقلبت الأولى تاء ، وذلك أنهم لو لم يبدلوها تاء لأبدلوها همزة لاجتماع الواوات في أول الكلمة " 2 .

أما رأي الكوفيين فيظهر عند الفراء – كما جاء في لسان العرب – في كتابه المصادر حيث قال : " التوراة من الفعل التفعلة كأنها أخذت من أوريت الزناد ووريتها ، فتكون تفعلة في لغة طيئ ، لأنهم يقولون في التوصية توصاة وللجارية جاراة وللناصية ناصاة " 3 .

واستند البصريون في رأيهم إلى كثرة فوعلة في الكلام " قيل الحوصلة والدوخلة وكل ما قلت فيه فوعلت فمصدره فوعلة فالأصل عندهم وَوْراةُ ولكن الواو الأولى قلبت تاء كما قلبت في تولج وإنما هو فوعل من وَلَجَت . ومثله كثير " 4 .

---

[1]- انظر : المعرب , 214
[2]- شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي , 161
[3]- لسان العرب / وري
[4]- لسان العرب / وري

ونظرا لأن اللفظة عبرية لا جدال في ذلك ، فقد رفض بعضهم القول في اشتقاقها ، قال أبوحيان صاحب البحر المحيط فيها : " اسم عبراني وقد تكلف النحاة في اشتقاقها وفي وزنها وذلك بعد تقرير النحاة أن الأسماء الأعجمية لا يدخلها اشتقاق و لا توزن " 1 .

وكما ذكرنا من قبل أن الكلمات السامية (عروبية) في أساسها منها ما ينسب مباشرة إلى الجذر والاستعمال العربيين ، ومنها ما أهمل في الفصحى ولم يهمل في أخواتها الساميات ، ومنها ما تطور وتغيَّر في لغته الشقيقة وصار ذا شخصية مستقلة ، وعليه يمكننا قبول إرجاع (توراة) إلى أصل عربي .

ولكننا بداية سنجدها أساسية في العبرية وهي " من الكلمات التي وردت أكثر من سبعين مرة في التوراة " 2 . وله دلالة في العبرية لأن " لفظ توراة يعني في العبرية الشريعة والقانون والتعليم وهي أعظم كتاب ديني لدى الإسرائيليين وتنقسم إلى خمسة أسفار معروفة عندهم " 3 .

ونظر بعضهم إلى التوراة من حيث إنه في العبرية : תּוֹרָה tōrā – على أنه مرتبط بجبل الطور فهو " طورا بمعنى الهُدى ، والظاهر أنه اسم للألواح التي فيها الكلمات العشر التي نزلت على موسى عليه السلام في جبل طور ؛ لأنها أصل الشريعة التي جاءت في كتب موسى عليه السلام ، فأطلق ذلك الاسم على جميع كتب موسى ، واليهود يقولون إسْفِر طورا " 4 .

وقدم الدارسون عدة ألفاظ اختلفوا حولها ما بين (طورا وتورا وأوريتا) العبرية الآرامية ، وتورا وتورة) العبرية ، فيرى أحد الباحثين " أن هذه الألفاظ المذكورة بوصفها أصولا للفظ توراة لا يمكن ترجيح إحداها على الألفاظ الأخرى لأن احتمال كون أحد هذه الألفاظ هو الأصل وارد بشكل متساو في جميع الألفاظ " 5 .

---

[1]- انظر : مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية ، هاشم الطعان ، 59

[2]- دروس في اللغة العبرية القديمة من خلال نصوص التوراة ، سلوى غريسة 212

[3]- دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال , 428 / وأنظر : قواعد اللغة العبرية ، عوني عبد الرءوف 428 / غرائب اللغة العربية ، الأب رفائيل نخلة اليسوعي , 211

[4]- المعرب الصوتي في القرآن الكريم دراسة ومعجم ، إدريس سليمان مصطفى 90

[5]- المعرب الصوتي في القرآن الكريم , 92

obeikandi.com

ورفض أحدهم رأي القدماء في اشتقاق التوراة حيث " قد تكُلف اشتقاقه من الورى فقيل هو من الفِعْل التفعلة " 1 . واستند في رأيه على رأي برجشتراسر في " أنه معرّب من لفظين : أحدهما عبري (تورا) أي سُنّة أو شريعة ، والآخر آرامي (أوريتا) . ويظهر أن اللفظين الأعجميين قد أثرا في تشكل (توراه) المعرب من خلال إن أول التوراه قد أخذ من العبرية وآخرها من الآرامية " 2 .

وكان برجشتراسر قد ذهب إلى تداخل التأثير في الكلمة بين العبرية والآرامية حيث " يظهر أن العبرية نفسها أثرت في العربية أيضا مع الآرامية ، مثال ذلك (توراه) ، فهي في الآرامية : ʾōrayṯâ ، وفي العبرية : tōrā . فيظهر أن أولها أخذ من العبرية ، وآخرها من الآرامية . ويوافق رسمها في القرآن بالياء لفظها الآرامي" 3.

ولا يرفض الباحث كل ما سبق في التأصيل لكلمة (توراة) من الناحية الخاصة بلغتها الأصلية ، ولكننا ننطلق من تحليلنا للفظة من رأي أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب الذي رأى أن " أصل الكلمة תּוֹרָה على وزن (تُفْعال) حدث فيها ما حدث في كلمة מוֹשָׁב (môšāv) ؛ إذ قلبت الياء واوا في جميع التصاريف لضمة ما قبلها " 4 .

وعلينا قبل أن نقول بصواب هذا الرأي من عدمه أن ننظر إلى الفعل الذي أخذت منه كلمة (توراة) " وفعلها : יָרָה (yārāh) (عَلِم) غير مستعمل في العبرية ، وهو يقابل الفعل العربي (رَوَى) من الرواية مع القلب المكاني بين الراء والواو ، والمستعمل منه في العبرية هو المزيد بالهاء : הוֹרָה hórāh(علّم – أعلم) واسم الفاعل منه : מוֹרֶה (móréh) (معلّم) " 5 .

---

[1]- المعرب الصوتي في القرآن الكريم , 90

[2]- المعرب الصوتي في القرآن الكريم ، 90

[3]- التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر, 227 / وانظر : التعريب في القديم والحديث مع معاجم الألفاظ المعربة ، محمد حسن عبد العزيز , 336

[4]- في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية ، رمضان عبد التواب , 80 - 81

[5]- في قواعد الساميات , 80 / وانظر :

W.Gesenius: Hebrew and English lexicon , 106

فالفعل هنا (عبريا) مثال يائي قلبت ياؤه واوا في البناء لضمة ما قبلها ، ولم يفسر لنا الدكتور رمضان عبد التواب طبيعة هذا البناء : תּוֹרָה ، (toyrāh) هل هو اسم أم مصدر أم وصف ... إلخ ؛ دل على عدم تحديد مدلوله تفسيره بعدة كلمات : (شريعة / قانون / تعليم) .

وإذا كان هذا الرأي قد ذهب إلى اشتقاق التوراة العبرية من الفعل (ي ر هـ) الدال على التعليم ، فقد ربطها آخرون بفعل آخر ، هذا الفعل واوي أيضا مثلما ذهب القدماء ، وهو (ورى) ويحمل معنى الإشعال وما ارتبط به من النور أو الحرارة ، أشار إلى هذا الفعل جزينيوس فهو : אוֹר: ór أنار وأضاء ولمع ، في الآرامية : ܐܘܪ (أور) ومنه : אוֹרָה (أوراه) (اسم مؤنث ، ضوء) ، والجمع : אורות " 1 .(órót) .

والأوار : uwār : " في العربية شدة حر الشمس ، وفي الأشورية : urru ’ ، بمعنى ضوء " 2 . وفي الآرامية : " ورور warwar ، ومثله : وَرَّ (warr) القشُّ (الحطب) أي : اشتعل والتهب ، وـــ النار : اشتّد ضرامها وتطاير شررُها ، وهو من : ܒܪܪܐ (وروارا) شرارة النار ... وفي فصيح العربية الأَرُّ : إيقاد النار ، والإرة (بالكسر) : النار ، والأُوار: حرّ النار ، و ورور نظره : أَحدّه ، وفي الكلام : أسرع ، يقال ما في كلامه إلا وروة إذا كان يستعجل فيه ... ، وعامة البغدادين يقولون : فلان يورور وهو وروارى أي يتكلم كثيرا ويغضب بسرعة " 3 .

وانطلاقا من هذه الدلالة ربط مرمرجي الدومنكي الجذر الثلاثي (yŏrāh ومزيده hŏrāh) بإيقاد النار ، ومن ثم النور " فإذا رددنا الثلاثي الناقص إلى ثنائي أمكننا القول إن أصلها من " أرّ) العربي الدال على إيقاد النار ويقابله في العبرية : ór ، أي النار والنور ، وفي العربية تقلب الهمزة واوا ، فيأتي من (أرّ) اللفيف المفروق (ورى) ، فيقال ورت النار اتقدت " 4 .

---

[1] -W.Gesenius: , 21

[2]- معجم مفردات المشترك السامي ، حازم علي كمال الدين , 68

[3]- دراسات في اللغتين العربية والسريانية ، إبراهيم السامرائي ، 96 / وانظر : الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية ، داود الحلبي الموصلي , 86

[4]- المعجمية العربية في ضوء الثنائية و الألسنية السامية ، الأب مرمرجي الدومنكي , 72

ومن المعلوم أن ثنائية الجذور نظرية عامة قبل بها كثير من العلماء في اللغات السامية والحامية (المصرية القديمة والأمازيغية) 1 ، " ولقد حافظت اللغات الحامية على ثنائية البناء بينما تطورت الجذور السامية لتصبح ثلاثية البناء ... وإذا أمعنا النظر في الجذر (ور) ... يفضي بنا إلى اكتشاف وجود جذور أخرى مشتقة منه تدل كلها على ألفاظ ومعاني متقاربة : في الساميات (أور) هو (النور والنار) ومنه في العربية (أوار) ... وفي الأكادية أور (نور ونهار) ، والأوغاريتية أور (نور ونهار) " 2 .

ويدلل مرمرجي الدومنكي على ذلك من " الآرامية الكتابية نجد Awri : (علّم) ، وفي الحبشية الجَعْزية warawa : ألقى ، وفي الأكدية : Arū قاد ، tarū شريعة ، وفي العربية القرآنية : روى ، رأى ولكن هذه كلها صادرة عن الأصل القديم وهو الثنائي (أر أو ór) الحاوي معنى النار والنور 3 .

ثم ربط الدومنكي كل هذا بدلالة (توراة) على التعليم " فمن النار يتولد النور ، والنور عينه يدل مجازا على العلم والتعليم والشريعة ، وفي هذا لم يطش سهم المعاجم العربية " 4 .

وإلى نفس هذا التحليل ذهب د.عبد الرحمن السليمان ، ولكنه رفض نسبة الجذر في (توراة) إلى الجذر العربي (ورى) بل يؤكد أنه من الجذر العبري (ورى) الذي يدل على معنى التعليم لا النار ومشتقاتها ، يقول : " أما (ورى / يرى) العبري الذي اشتقت منه توراة فغير موجود في العربية بمعنى التعليم ، وعندي أنه مجانس لمعاني الأفعال المشتقة من (ور) في اللغات الجزيرية الشرقية والغربية (المصرية القديمة والأمازيغية) أي النور ؛ فالتعليم تنوير قبل كل شيء لذلك لا داعي إلى اشتقاقه من العربية طالما كان له اشتقاق في العبرية " 5 .

---

[1]- ملاحظات ومقارنات لغوية ، عبد الرحمن السليمان , ص2
[2]- ملاحظات ومقارنات لغوية , ص2
[3]- المعجمية العربية في ضوء الثنائية و الألسنية السامية , 73
[4]- المعجمية العربية في ضوء الثنائية و الألسنية السامية ، 72
[5]- ملاحظات ومقارنات لغوية , ص2

والباحث يخالف الرأي الأخير ، ويذهب إلى صدق رؤية البصريين في اشتقاق الكلمة من (ورى) وهو نفس الجذر العبري (יָרָה ي ر ه) ونفس الجذر السامي والحامي المشار إليه ، لكن في نفس الوقت أوافق رأي الفراء في أن الكلمة على وزن (تفعلة) وهي مصدر للفعل السامي الأصيل ، والتاء فيه تاء المصدر ، وليست من (فوعلة) البصرية .

وليست الواو في (توراه) إذن كما ذهب الدكتور رمضان عبد التواب من الياء لضمة ما قبلها فالتاء مفتوحة ضمت في العبرية لوجود الواو الأصلية وإلى قريب من هذا ذهب د.عبد الرحمن السليمان الذي لاحظ " أن الجذور الجزيرية التي فاءاتها واوات مثل (ولد / وثب / وسع ... إلخ) قد أصبحت كلها في العبرية والآرامية والسريانية من ذوات الياء (يلد / يشب / يشع ... إلخ) نعلم ذلك يقينا من خلال علم اللغة المقارن ومن خلال ظهور الواو في الأفعال العبرية المزيدة كما نلاحظ في הוֹרָה = hórāh بمعنى (علّم) حيث ظهرت الواو الأصلية ، وهذا مثل ظهورها في أفعال عربية مثل دعوت وأوصل ، ذلك أن هذه الواو تسقط في تصاريف أخرى (دعا) وباطراد (يصل) [1] .

وعليه نتفق مع د.عبد الرحمن السليمان في قوله " وتاء توراة في العبرية هي تاء المصدر فتوراة اسم مصدر في العبرية من الفعل المعتل (ي رهـ) " [2] .

ونختم القول في توراة بأنها تنتهي بالتاء المربوطة التي نقف عليها بالهاء وتظهر تاء في حالة الإضافة ، يحدث ذلك في العربية ، بل وفي العبرية أيضا ، يدل على ذلك النص التالي : " من سفر المزامير من العهد القديم المزمور الأول :

בְּתוֹרַת יְהוָה (بتورَة يهواه betórat yehwāh)= بتوراة الرب ... ، תּוֹרַת وهي مفرد مؤنث في حالة إضافة إلى الظاهر ... وأصل الكلمة في حالة الإطلاق : תּוֹרָה " [3] . (tórāh) .

---

[1]- ملاحظات ومقارنات لغوية , ص2

[2]- ملاحظات ومقارنات لغوية , ص2

[3]- انظر : في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية ، 80

***

7- خنزير :

اختلف القدماء حول نون (خنزير) هل هي أصلية فتكون الصيغة رباعية أم هي زائدة فتكون ثلاثية ؟ ، يشير ابن هشام اللخمي إلى ذلك فيقول عن الخنزير " ووزنه : فعليل ، ويحتمل أن تكون النون زائدة لأنها قد تزاد ثانية فيكون وزنه : فنعيلا ، وكذلك حكى ابن دريد ، ويكون مشتقا من الخزر لأن الخنازير كلها خزر والخزر كسر العين " [1] .

وكان ابن دريد قد أشار إلى الخنزير مرة بأنه " مأخوذ من الخزر وهو صغر العين والياء والنون زائدتان ، والخنزرة ضرب من الفؤوس غليظ ، وخنزير المنجنيق : شيء من آلته " [2] . وقال في موضوع آخر " وخنزر مأخوذ من قولهم : خَنْزر وهو الفأس الغليظة ، وإن كان اسما غير ذلك فاشتقاقه من الخزر والنون زائدة وهو صغر العينين " [3] . في حين أشار في الجمهرة إلى خنزير في باب ما جاء على فعليل [4] !!

وجاء الخنزير في لسان العرب في مادتين (خنزر وخزر) ، وجاء له في لسان العرب فعل " خنزر الرجل إذا نظر بمؤخر عينه ، جعله فنعل من الخزر ... وقال كُراع : هو من الخزر في العين لأن ذلك لازم له ، قال فهو على هذا ثلاثي " [5] . وفي مادة (خزر) " الخنزير الوحش المعروف مأخوذ من الخزر لأن ذلك لازم له . وقيل هو رباعي [6] .

ورفض برجشتراسر أن يكون الخنزير – وعدد آخر من الأسماء التي رآها ثلاثية – رفض أن تكون مشتقة من الأفعال ، وهي عنده من الساميات المشتركة ، يقول : " وكثير من الأسماء الثلاثية أصلي

---

[1]- شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي , 295
[2]- الاشتقاق ، لابن دريد , 498
[3]- الاشتقاق , 555
[4]- جمهرة اللغة , 2 / 1189
[5]- لسان العرب / خنزر
[6]- لسان العرب / خزر

أيضا ، وبالأخص من أسماء الأشياء المادية المنظورة الملموسة منها الحيوانات كالنمر والذئب والثور والحمار والكلب والخنزير والنسر والذباب ، ...وكل الأسماء المذكورة سامية الأصل موجودة في كل اللغات السامية وما يدلنا على أنها وكثيرا من الأسماء غيرها لم يشتق من الأفعال هو ثلاث ملاحظات :

الأولى : المعنى لا يكاد يحتمل اشتقاقا من فعل أصل ، ولا يجوز أن يكون أي فعل كان من الأفعال أقدم من هذه الأسماء .

الثانية : بعض هذه الأسماء تخالف الأفعال التي يحتمل اشتقاقها منها .

الثالثة : لا علاقة بين أوزان هذه الأسماء ومعانيها " 1 .

والحقيقة في خنزير أنه ثلاثي من (خزر) ومادة (خزر) تشير في العبرية إلى نفس ما أشار إليه القدماء وهو ضيق العين ، أشار إلى ذلك جزينيوس " חזר ḥåzar خزر ضيق في العين ، חֲזִיר ḥåzir اسم مذكر خنزير " 2 .

وهو من السامي المشترك موجود في معظم اللغات السامية ولكن النون غير موجودة في غير الحبشية ḫanzir خنزير ، وفي العبرية חֲזִיר ḥåzir . ، وفي الآرامية חֲזִירָא ḥåzira ، وفي السريانية ḥzira ܚܙܝܪܐ ، وفي الأشورية البابلية خمسرو 3 . والغريب أن مراد فرج المحامي جعله عبري الأصل من الحاء (حزير) تحريما للحم الخنزير 4 . كأنه مشتق من الحذر ! .

---

[1]- التطور النحوي للغة العربية ، 98 – 99 ، بتصرف / وانظر : ص 209 .

[2] -W.Gesenius: , 306

[3]- انظر: - معجم مفردات المشترك السامي , 166 / تاريخ اللغات السامية ، 286 / غرامطيق اللغة الآرامية السريانية , 38 / في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية ، 383 / وانظر كذلك :

W.Gesenius: Hebrew and English lexicon of the old testament , 306
Isho.B.Ali: The Syriac –Arabic glasses ,424 .

[4]- ملتقى اللغتين العبرية والعربية ، مراد فرج المحامي, ج 3 / 15

وإذا كان جذر (خنزير) ثلاثيا (خزر) فمن أين جاءت النون إذن ؟ ، ذهب عبد الرحمن السليمان إلى أن النون موجودة في العبرية والسريانية إلا أنه حرف يكاد أن يكون من حروف العلة لكثرة إدغامه وإهمالة فسقطت النون منهما [1] .

والباحث لا يميل إلى هذا الرأي وإنما أميل إلى رأي أغناطيوس يعقوب الثالث في أن الصيغة كانت مشددة وهي في السريانية ܚܙܝܪܐ Hazzira [2] . وبالتالي فإن الصيغة العربية حدث فيها تطور صوتي عن طريق قانون المخالفة بإبدال أحد المتماثلين نونا : خزّير ← خنزير ، هذا التطور يعطينا دلالة أن الصيغة الحقيقية (فعّيل) – بعين مشددة – وبالتالي يستبعد الوزنين القديمين (فنعيل – فعليل)

***

8- سموأل :

لفظة صادف أن تشترك ما بين العربية والعبرية ، فلو نظر إليها لغوي من القدامى الذين لا علم لديهم باللغات السامية وجد لها اشتقاقا عربيا أصيلا عند الناطق العربي ، ولو نظر إليها من له دراية بالعبرانية أدرك الأمرين معا وربما خلط في تفسيره ، والأمر الأول حدث مع ابن درستويه أما الأمر الثاني فقد حدث مع ابن دريد .

يعرض ابن درستويه للفظة من منظور عربي بحت :" وأهل الاشتقاق يأخذونه من السَّمْل ، وهو الإصلاح بين القوم ، أو من السَّمَل وهو الماء القليل ، ولا يصح ذلك إلا من لغة العامة لأنه يكون على فعوّل بتشديد الواو، وأما على إثبات الهمزة ملحقة فإنه يجوز على (فعوءل) وهو مثال ليس من أبنية العرب " [3].

[1]- ملاحظات ومقارنات لغوية ، ص 2
[2]- البراهين الحسية على تقارض السريانية و العربية ، أغناطيوس يعقوب الثالث , 26
[3]- تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه , 401

obeikandi.com

ولقد فرّق ابن درستويه هنا بين ما هو عربي وما هو غير عربي في نطق السموأل فلو كان كما تنطقه العامة بدون همز (سموّل) لناسب اشتقاقه لغة العرب ، لكن الرجل يعرف أن الكلمة مهموزة مما جعله يلحقه ببناء (فعوءل) ويدرك أنه ليس بعربي ، ولعدم درايته بلغته الأصلية سكت عند هذا الحد .

ولكن بناء ابن درستويه للكلمة على (فعوءل) تدلنا على إقراره أن أصله من (سمل) العربية ، وهذا ما أكده ابن دريد فوجدناه يعطينا دلالتين للفظة فيقول : " يقال : سمل عينه إذا أحمى خشبة أو حديدة وأدخلها فيها ... ، والسَّمَل : الثوب الخلق " [1] .

هذا بالرغم من أن ابن دريد يدرك الأصل اللغوي لكلمة (إل) يظهر هذا عنده في قوله : " وقد كانت العرب ربما تجيء بالإل في معنى اسم الله جل وعز ، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما تلي عليه سجع مسيلمة : إن هذا شيء ما جاء من إلّ ولا بر، فأين ذهب بكم ؟ " [2]. لذلك فهو يدرك أن " السموءل عبراني وهو أشمويل فأعربته العرب ... والسموءل الأرض السهلة إن اشتققته من العربية "[3] !!.

الغريب في الأمر مع ابن دريد أنه جعله في موضع آخر " مما أخذوه من السريانية ... سموأل وهو شَمْويل . قال أبو بكر : السموأل بن عادياء بن حِيّا من الأزد وأولاده بتيماء إلى اليوم " [4] . وهو نوع من التساهل في نسبة الكلام إلى لغته طالما كان أعجميا ! . فربما ظنوا أن اللفظ غير العربي يجوز فيه عدم الاكتراث بنسبته إلى أصله .

وجاء في لسان العرب في المادة الرباعية (سمأل) ." السّمأل والسموأل : الظل ، والسموأل والسموّل اسم رجل سرياني معرب ، قال ابن السكيت : السموأل بن عادياء بالهمز وهو فعوءل . قاله الجوهري : قال ابن بري : صوابه : فعولل والمسمئل : الضامر " [5] .

---

[1]- الاشتقاق ، 307

[2] - - انظر : جمهرة اللغة 1 / 59 .

[3]- الاشتقاق ، 436

[4]- جمهرة اللغة 3 / 1326

[5]- لسان العرب / سمأل .

ويظهر خلاف خاص بين ابن السكيت والجوهري حول وزن الكلمة (فعَوءل – فعَولـل) الـذي يظهر خلافهم حول اشتقاقها من (سمل) أم (سمأل) وهو ما لا حقَّ لهما فيـه – أو لغيرهمـا – إذا رجعنـا لأصلها الأعجمي .

ولكن الاسم لشهرته وقدمه في العربية قد يعطيهم العذر في تصريفهم له فهو " مـن أشـهر مـا عرب في عصور الاحتجاج من السريانية والعبرية " 1 . و يرى شتيفان فيلد أن " من البـديهي أن تـوائم الأسماء التي ترجع إلى ما قبل العربية النظام الفونولوجي للمتحدثين المستعيرين " 2 .

ومثل هذا العذر للغويين القدامى أعطـاه لهـم د .محمـد حسـن عبـد العزيـز الـذي يـرى " أن افتراض أصول للألفاظ الأعجمية مع ما فيه من اعتساف أو احجاف له ما يسوغه عند علـماء الصرـف وصناع المعاجم . فالكلمة الأعجمية إما أن تحتفظ بصـورتها اللفظيـة في لغتهـا وفي هـذه الحالـة تخضـع لعملية الاشتقاق أو التصريف التي تخضع لها الكلمة العربية ، وإما أن يُتصرف بتغيير في لفظها يجعلها في صورة مماثلة لصيغة عربية يمكن أن يشتق منها ويتصرف منها " 3 .

وربما كان الرأي السابق موافقا لكثير من الألفاظ المعربة التي تعايشت مع العربية فـترة طويلـة حتى ارتدت ثوبا عربيا وتعرضت لما تتعرض له اللفظة العربية من اشتقاقات عربية عدّة تفرعت عنها في عصور مبكرة ، أما كلمة (سموأل) فمشكلتها في التصريف العربي أنها علـم أعجمـي مركـب في لغتـه الأصلية من لفظين بدلالتين مختلفتين وأصله عبري واستخدم بلغات أخـرى كالسرـيانية . ومـن هنـا لا يجوز مهما بلغ به القدم على لسان العرب أن يذوب بطريقة ذوبان مثل (خنزير) التي أخذوا منهـا الخـزر وخنزر وخزر ... الخ ، وكلها اشتقاقات من صفات الخنزير .

وكلمة (سموأل) في حقيقتها " هي التعريـب القـديم للاسـم العـبري شـموئيل / **שְׁמוּאֵל** šmúʾēl المركب من (شمو = (سمه) ومن (إيل = إل) فيكـون المعنـى : (اسـمه إل) و (إل) مـن

---

[1]- فقه اللغة ، على عبد الواحد وافي , 158

[2]- انظر : الأساس في فقه اللغة العربية ، فيشر , 67

[3]- التعريب في القديم والحديث مع معاجم الألفاظ المعربة ، محمد حسن عبد العزيز , 156

obeikandi.com

الألفاظ الدالة على الإله المعبود بحق عند اليهود (والمسلمين أيضا) ويعرب في زماننا هذا على صموئيل أيضا " 1 . والكلمة بنفس اللفظ في السريانية ܫܡܘܐܝܠ (šmó,īl) 2 . ودخلت كلمة (إيل) في كثير من الأعلام السامية تماما مثل ما عُبِّد من الأعلام العربية المركبة تركيبا إضافيا إلى (الله) . ونلاحظ أن التركيب هنا من النوع الإسنادي .

والأصل في (إيل) – كما جاء في معجم الحضارات السامية – " اسم الإله لدى الساميين ، وهو تحديداً إله السماء الخيّر يقابله إله الجو بَعْل المؤذي ... عُبد إيل في الجزيرة العربية باسم (الله) ، وكانت له ثلاث بنات هن اللات والعزى ومناة ، اطلق العبرانيون على إلههم : يهوه اسم إيل ، وجمعه التفخيمي : إلوهيم ، واسمه في الآرامية : إلها وآلوهو ... وتدخل كلمة إيل في تركيب العديد من أسماء الآلهة ... و الأعلام مثل إيليا و إلياهو (إيل هو يهوه) وميخائيل (شبيه الله) وجبرائيل (رجل الله) وعمنوئيل (الله معنا) وإسرائيل (مجاهد مع الله) وإسماعيل (يسمع الله) ." 3 .

وجاء العلم (سموأل) في النقوش الشمالية النبطية في منطقة الحجر ، ومن ذلك النقش النبطي الذي يظهر فيه اختلاط اللغات وتأثرها ببعضها في تلك المنطقة الوسيطة بين الجزيرة والمناطق السامية الشمالية ، ومن هذا النقش :

...ع د ن و ن ب ر ح ب ي ب ر س م و أ ل

عدنان بن حبيّ بن سموأل 4 .

ويعلق د.سليمان بن عبد الرحمن الذييب قائلا : " س م أ ل جاءت في النصوص الصفوية كاسم قبيلة مسبوقة بالأداة (ذ ا ل) ... وهو يعادل الاسم **שְׁמוּאֵל** (šmó,īl) الذي جاء في التوراة العبرية "1.

---

[1]- ملاحظات ومقارنات لغوية ، عبد الرحمن السليمان , ص 1
[2]- انظر : المعرب , 379
[3]- معجم الحضارات السامية ، هنري عبودي , 182
[4]- انظر : نقوش الحجر النبطية ، سليمان بن عبد الرحمن الذييب, 160

ويضيف قائلا " وظهور اسم العلم (سموأل) المذكور في هذا النقش (والمعروف في المصادر العربية) لا يعني عدم عروبة حامله ، ولكنه إذا أخذنا بأنه اسم علم عبري ، فإنه عربي اعتنق الديانة اليهودية تاركا الوثنية المنتشرة في ذلك الوقت في أنحاء متفرقة من شبه الجزيرة وعندما اعتنق اليهودية تسمى باسم علم ذي اشتقاق عبراني ، تماما مثل البعض من غير المسلمين عندما يهديهم الله سبحانه وتعالى إلى الإسلام يتخذون أسماء إسلامية مثل محمد ، عبد الله ... إلخ . واتخاذهم لهذه الأسماء الشخصية لا يعني أنهم أصبحوا عربا ولكنهم يشتركون مع العرب المسلمين باعتناق الإسلام ، وهو ما حدث عند دخول اليهودية تقريبا في القرن السادس قبل الميلاد " [2] .

والخلاصة أن كلمة (سموأل) هي في الأصل علم عبري تركب من كلمتين في لغته ، بينما وافق في العربية لفظا آخراً الأمر الذي خلق اضطرابا في تفسيره لدى القدماء . ولا يجوز قبول تفسيراتهم التي تنسب الكلمة إلى اشتقاقات أخرى عربية بعيدة عن حقيقة أصلها العبراني .

***

9- عِمِّيت :

والخلاف هنا ليس بين عالم وآخر وإنما هو مأخذ على شاعر؛ حيث أخذ ابن درستويه على بعض الشعراء غلطه في بنائه من العمى بصيغة (عِمّيت) ، بالميم المشددة ، يتضح ذلك من قوله : " وقد غلط بعض الشعراء فسمي الأعمى : عميتا في قوله : (سريع)

رَبعُ الصَّبا أخرسٌ عِمّيتُ مُسلّبُ المَنْطقِ سِكّيت

يريد أن الربع لا يسمع ولا يبصر و لا يجيب ، ولم يعلم أن التاء في عميت ليست من بناء العمى ، ولا يجوز أن يكون فعيل من العمى بالتاء ، وإنما فعيل من العمى بتشديد الميم والياء جميعا بغير تاء ، فإن أراد

[1]- نقوش الحجر النبطية ، 165
[2]- نقوش الحجر النبطية ، 165

بناء فعليت بزيادة التاء من العمى فإنه يجب أن يقال عمييت بيائين إحداهما لام الفعل من عمي ، والثانية مثل ياء فعليت الزائدة ، ولا تكون الميم مشددة " [1] .

وابن درستويه يؤكد على غلط الشاعر من ناحيتين :

1- لو أراد بناء (فعّيل) : فلا يجوز أن يكون من العمى بالتاء بل يكون (عِمِّي) .

2- لو أراد بناء (فعليت) : لكان عمييت ، ويقر بأن الياء والتاء في (عمييت) من الزوائد .

ويكمن الخلاف هنا في تحديد أيهما على صواب الشاعر في بنائه أم الشارح في رده ؟ ، كذلك بناء مثل هذه الصيغة (عِمّيت) هل هو (فعليت) أم (فعيل) ؟

ويبدو أن هناك التباس وقع فيه ابن درستويه حول دلالة الكلمة المذكورة ، و بالبحث في لسان العرب لا نجد اللفظة عِمّيت في مادة (عمي) بل نجدها في مادة (عمت) :" عمت الصوف والوبر يعمته عمتا ، لف بعضه على بعض مستطيلا ومستديرا حلقةً فغزله ... و الاسم العَمِيت ... ورجل عَمِيت ظريف جريء ، وقال الأزهري : العَمِيت الحافظ العالم الفطن ... قال : والعِمّيت بالتشديد : الرقيب الظريف ، ويقال : الجاهل الضعيف . قال الشاعر : كالخُرس العماميت ، والعِمّيت أيضا : الذي لا يهتدي لحجة " [2] .

وفي الجمهرة أيضا : " باب ما جاء على فعّيل ... وعِميت : لا يهتدي لحجة "[3] . وجاء في تهذيب اللغة : " قال الليث : العّمْت : أن يغمت الصوف فتلف بعضه على بعض مستطيلا أو متخذا حلقة ، كما يفعله الغزّال الذي يغزل الصوف ، فيلقيه في يده ، والاسم العَميت ، وثلاثة أعمتة .. " [4] .

---

[1]- تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه , 312 - 313

[2]- لسان العرب / عمت

[3]- الجمهرة ، 2 / 1191

[4] - تهذيب اللغة للأزهري 2 / 290

obeikandi.com

نفهم من هذه المؤشرات أن الكلمة (عِمّيت) ليست من العمى ، وإنما هي من العمت ، وتأتي من لف الصوف بعضه وكأن العمة والتعميم منه ، وكأن معناها الجاهل الذي لا يهتدي إلى حجة أقرب من معنى الظريف الرقيب الذي أتى به الأزهري لما فيها من اقتران عند الشاعر بالخَرَس – بل عند الشاعرين – وجمعها (العماميت) ربما أكد أن أصلها (عمت) .

وعلى هذا يكون مراد الشاعر من ربع الصبا في البيت الذي جاء به ابن درستويه غير ما فسره ابن درستويه بقوله : يريد أن الربع لا يسمع ولا يبصر و لا يجيب ، بل هي أوصاف تدور حول معنى واحد وحاسة واحدة لا ثلاث ، فقد وصفه بأنه : أخرس (لا ينطق) ، عميت : جاهل لا يجيب ، مسلب المنطق : وهي نفسها أخرس ، سكيت : وهي نفس الدلالة ، ولا وجود هنا لعجز البصر أو العمى ، فقد تسرع ابن درستويه في تفسيره لمعنى البيت ؛ وبذلك تكون القضية منتهية والشاعر لم يخطئ في بناء الصيغة من (عمت) لا من (عمي) ويكون وزن (عمّيت) هو (فعّيل) لا (فعليت) .

وفي ظني أن تسرع ابن درستويه وعدم توفيقه في اعتراضه على الشاعر يرجع إلى ثلاثة أمور :

1- إن قرب دلالة الجذر مع غيره أوقع ابن درستويه في اللبس والخلط ؛ فالجذر يتكون من (عمت) به صوتان رئيسان هما العين والميم ، وطبقا للنظرية الثنائية – التي تقول بأن المعنى في الصيغ الثنائية المثلثة موجود في أول جذرين – نستطيع أن نكتشف بسهولة أن الجذر الثنائي (عم) يشير إلى معاني : الجهل والخفاء ، وعدم الاهتداء إلى حجة ، والغموض ، ومنه تشترك عدة جذور ثلاثية في نفس المعنى منها : (عمت – عمد – عمر – عمش – عمق – عمل – عمم – عمي) فكل هذه الجذور تشير إلى معنى واحد في النهاية هو الخفاء وعدم الإبانة .

والجدير بالذكر أن بعض الصرفيين قد أعطى دلالة لتلك الصيغ الصرفية ، فالصيغة فعليت : خصوصية الدلالة على الاستتار في الوجدان أو الضمير والرجوع إلى التحولات المندثرة وفعيل : تدل على الكثرة والمبالغة والتأكيد [1] .

[1]- انظر : مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نصنع المعجم الجديد ، عبدالله العلايلي , 73 بتصرف- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، سباتينيو موسكاتي و آخرون , 134

2- وأمر آخر أوقع ابن درستويه في الخلط هنا ، هو قلة استعمال الجذر عمت ومشتقاته أمام كثرة استعمال الجذر (عمي) ومشتقاته خصوصا مع اقتران لفظ عمّيت في البيت مع ألفاظ الحواس (أخرس – منطق – سكيت) تذكر للوهلة الأولى بالتعبير القرآني الشهير (صم بكم عمي) في قوله تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة 2/ 18) .

3- أما الأمر الثالث فهو ورود صيغ مميزة للجذور الثلاثية مع زيادة اللاحقة (يت) في اللغة العربية واللغات السامية عامة ، فلما رأى ابن درستويه أمامه مثل تلك الصيغ (عفريت نفريت ، وعزويت) [1] ، تبادر إلى ذهنه خطأً أن البناء هو بناء (عمييت) من العمى ، ولما وجد الصيغة أمامه (عميت) راح يخطّئ الشاعر من ناحيتين : فلو أراد بناء (فعّيل) لكان عمّيّ ، ولو أراد بناء (فعليت) لكان عمييت !! .

لكن هل توجد الصيغة (عمييت) بالفعل في اللغة العربية كي يقدمها ابن درستويه بهذا الشكل ؟ ، هل هي صيغة مستعملة في العربية ، ومتداولة على الألسن كي يقدمها ابن درستويه بديلا لصيغة أخرى هي بالفعل موجودة في المعجم العربي كما رأيناها ؟ .

إن بناء عمييت من العمى غير موجود في المعجم العربي مطلقا ، وهو من صناعة ابن درستويه ، ولكي لا نقسو على الرجل فإن الصيغة قياسيا صائبة فهو قاسها على الصيغ السابقة الموجودة بالفعل ، وهي صيغ ترجع بالأساس إلى المشترك السامي .

تؤكد ذلك المقارنة بالساميات أخوات العربية حيث " ذهب بعض علماء الساميات إلى أن ما جاء على وزن عفريت ونفريت هو من آثار احتكاك العربية باللغات السامية الشمالية وبخاصة الآرامية " [2] . وتشير المقارنة بالساميات إلى أن تلك الكلمات التي جاءت بهذه الصيغ هي ثلاثية زاد عليها المقطع (يت) ، وفي بعض الأحيان يزيد المقطع (وت) في كلمات أخرى ويستخدم أيضا في العربية .

---

[1]- انظر : أبنية الأسماء والأفعال والمصادر ، ابن القطاع 158 . الخصائص 1 / 197 , ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية ، دراسة لغوية تأصيلية ، إسماعيل أحمد عمايرة, 42

[2]- ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية ، 42

وهذا يحسم خلافا آخر كان قائما بين اللغويين العرب حول أصالة المقطع (يت) و (وت) من عدمه في بعض من تلك الكلمات .نضرب لذلك مثلا في عفريت حيث " تعددت الأقوال في هذه الكلمة فمنهم من عدها ثلاثية فهي عندهم من عفر ، والياء زائدة ومنهم من عدها رباعية على أن الياء فيها أصلية فهي على وزن فعللة في (عفرية) ، والرأي الأول أصح لأن الياء كما قال ابن منظور لا تكون أصلا في بنات الأربعة وقيل في ياء عفريت جيء بها للإلحاق بالرباعي أما التاء فقيل للإلحاق بنحو : قنديل " [1] .

وذهب د. إسماعيل أحمد عمايرة إلى أن هذه التاء في عفريت وعزويت هي مثل التاء في رحموت وملكوت وكلاهما للتأنيث بدليل المقارنة بنظيراتها في العبرية :

תגלית تجليت : تجلية من جلا ، **חבית** خابيت : خابية

מלכות ملخوت : مملكة ، **אצילות** أصيلوت : أصالة [2] .

والحقيقة أن هاتين اللاحقتين (يت – وت) لا تخصان العبرية وحدها كما لا تقتصران على دلالة التأنيث في العبرية فحسب ، بل تغلبان على الساميات الشمالية والحبشية أيضا ، ولا تقتصر على المؤنث فحسب بل وجدت منها صيغ مذكرة أيضا .

ولسنا مع دكتور داود الجلبي الموصلي في زعمه أنها آرامية الأصل وأخذتها العربية من الآرامية حيث يقول " ولا أحسبني مخطئا إذا قلت إن صيغة فعلوت لبعض الأسماء في العربية هي صيغة آرامية الأصل تكثر في هذه اللغة وتندر في العربية ، صاغت عليها العرب قديما بعض أسماء منها :

– جبروت ܓܒܪܘܬܐ جباروتا =(جبر)

– ملكوت ܡܠܟܘܬܐ. ملكوتا = (ملك)

– رهبوت ܪܗܒܘܬܐ رهبوتا = (رهبة)

[1]- ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية ، 42

[2]- انظر : ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية ، 46

- رحموت ⵔⵃⵎⵓⵜ راحموتا = (رحمة)

ومثلها رغبوت ولاهوت وناسوت وربما حانوت وهاروت وماروت أيضا " 1 .

فالصيغة الملحقة بـ(īt) و (ūt) توجد في أكثر من لغة سامية وهي بالتالي ترجع للسامية الأم وفي رأي موسكاتي أن الوزن الناتج " قبروت qabrut وقبريت qabrit (فعلوت وفعليت)... تنتجان صيغا تدل على أسماء المعاني abstracts ، فالصيغ المكسوعة بـ(ūt) توجد في الأكدية ، مثل : شُّروت sarrutu (ملكية) ، والعبرية مثل ملكوت malkut (ملكية) ، والسريانية مثل : دكيوتا dakyuta (نقاء) ، والأثيوبية مثل : خيروت kairut (خير) ، وهذه الصيغ في الأثيوبية ليست كثيرة وهذا ينطبق أيضا على العربية " 2 .

فتلك الصيغ ملحقة بـ(ūt) وهناك أمثلة أخرى للصيغ الملحقة بـ(īt) يسوقها موسكاتي:

في العبرية : reŝit بداية ، وفي البونية : suiyt ستارة ، وفي السريانية : arowwita حمّي ، وفي آرامية الكتاب المقدس وكذلك في العبرية : ahatit نهاية 3 . وبخصوص دلالة التأنيث لتلك اللواحق يرى موسكاتي أنه " ربما كانت في الأصل مورفيمات (وحدات صوتية) مؤنثة " 4 .

وبخصوص دلالة تلك الأسماء على المعاني عند موسكاتي فقد رأى Barth رأيا آخر يختلف مع ما ذهب إليه موسكاتي ، فهو قد أتى بأمثلة تدل على أن هناك صيغا كثيرة لأسماء الحيوانات تحمل نفس اللاحقة في اللغات السامية – وليس أسماء المعاني فحسب – هذا بالإضافة إلى وجودها بالطبع في الأسماء المجردة (المعاني) . أضف إلى ذلك أن Barth قد أشار إلى صيغ مكسوعة باللواحق وهي زائدة ، وصيغ أخرى تنتهي باللواحق وهي أصلية . وأخيرا أشار بارث إلى صيغ في الحبشية تنتهي بنهاية (يت) نهاية ظاهرية فقط لا علاقة لها بتذكير أو بتأنيث فقد توجد اللاحقة في الصيغة وفي نفس الوقت توجد صورة أخرى لنفس الصيغة بدون اللاحقة .

---

[1]- الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية , 5

[2]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 142

[3]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن , 142

[4]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 143 .

obeikandl.com

ولنتجه الآن إلى الأمثلة التي قدمها بارث ؛ ليؤكد ما سبق أن أشرنا إليه فمن شواهده بأن اللاحقة " توجد في أسماء الحيوانات بكثرة في :

- الآرامية مثل : ܚܰܘܳܝܬܳܐ (ḫawawīto) = (الحية – أنثى الثعبان) –
- وفي الآرامية أيضا : ܕܒܘܪܝܬܐ (daborīto) = (النحلة)
- وفي المندعية : ܐܪܝܬܐ (ʿarīto) = (لبؤة) " 1 .

ومن الأمثلة الكثيرة التي ساقها بارث وتدل على الصيغ الدالة على المعاني المجردة :

- في السريانية : ܡܦܘܩܝܬܐ (mafoqīto) = (خروج)
- وفيها أيضا : ܡܛܘܦܝܬܐ (maṭofīto) = (إعلان)
- وفيها كذلك : ܡܥܘܕܝܬܐ (maʿodʿīto) = (معمودية) .
- وفي الترجوم : **מפסועיתא** (mafsoʿīta) = (خطوة)
- وفيه **מחותיתא** (maḫotīta) = (هبوط)
- وفيه **מסוקיתא** (masoqīta) = (صعود) .
- وفي العبرية : **ראשית** (rāšīt) = (بداية) ،
- وفيها أيضا : **אַחֲרִית** (ʾaḫarīt) = (آخر – نهاية)
- وفيها : **שְׁאֲרִית** (šaʾarīt) = (بقية) 2 .

ومن شواهد بارث على الصيغ التاء فيها أصلية كما في (عمّيت) " في العبرية قد تكون (īt) من نفس البنية ، مثل :

- שְׁמָמִית (šamimīt) = (نوع من السحالي) .
- צְפִיחַית (ṣafiḫaīt) = (كعكة) .

[1]-J.Barth: Die Nominalbildung in den Semitischen sprachen , 404
[2]-J.Barth: 404

- זכוכית (zaḫoḫaīt) = (زجاج) 1 .

ومن الصيغ الحبشية التي توجد فيها النهاية (īt) نهاية ظاهرية فقط :

- ዳኻሪት (daḫarīt) = (نهاية)
- ኻሲቲት (ḫasitīt) = (ندرة)
- ጽሚት (ṣemīt) (سرية)
- መድኻኒት (madoḫīt) (فداء)
- ታሕፃዲት (teḫdādīt) (انخفاض) 2 .

ومن شواهد وجود صورتين للصيغة الواحدة ما يوجد في الحبشية من شواهد بارث :

- ኻሳፍ ḫasāfī (مسافرة) بجوار ḫasāfīt ኻሳፍት
- ደባኢ dabā'ī (الجيش heer)3. بجوار dabā'īt ደባኢት

ويرى بارث أن اقتصار الدلالة على التأنيث في اللاحقة (īt) نادر جدا مع الصفة المؤنثة في الآرامية الغربية 4 .كما يرى أن اللاحقة (يت) في العربية متحولة في حالات نادرة جدا من التاء المربوطة (في مثل عفرية ونفرية) 5 .

وإذا نظرنا إلى اللغة المهرية (من فروع الحبشية) يشير الباحثون إلى أن اللاحقتين (ūt)و(īt) من لواحق المؤنث وبعض الأعداد في المهرية ومن أمثلته فيها : غجيت ← بنت ، غيت ← أخت 6 .

---

[1]-J.Barth: 404
[2] -J.Barth: 403
[3] -J.Barth: 403
[4] -J.Barth: 405
[5] -J.Barth: 403
[6]- انظر : دراسات في المهرية ، شبكة هنا المكلا ، الشبكة الدولية والرابط : (almukalla.com./rb www.here) .

وخلاصة العرض السابق نستطيع أن نستنتج أن الكلمتين العربيتين (عمييت وعميت) بناءين قياسيين صائبين إحداهما بلاحقة زائدة (يت) كما تدل عليه الدراسة المقارنة ، والثانية أصيلة التاء التبست في مظهرها عند ابن درستويه بالصيغة الزائدة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ليس شرطا أن تدل اللاحقة (يت) في العربية على تأنيث كما دلت المقارنات السامية على وجودها في المذكر بجوار دلالتها على التأنيث في بعض المواضع .

وقد تنبه إلى تلك الحقيقة محمد بن يزيد المبرد عندما تعرض لكلمة (طاغوت) ورآها " فلَعوت مقلوب من فعَلوت مثل ملكوت ورهبوت ، إلا أنه قلب ، وكان القياس ان يكون طغيوت لأنه من الطغيان وقولهم أنه يكون واحدة أيضا لم يدفعوا به أنه يكون جماعة ، وادعاؤهم أنه واحدة (يقصد مؤنث) يحتاجون فيه إلى ثبت " [1] .فمع وجود اللاحقة ينكر المبرد التأنيث في (طاغوت) .

***

10- قيلولة - كينونة :

مصدران من الفعلين الأجوفين (قال يقيل) و (كان يكون) خلقا جدلا واسعا بين البصريين والكوفيين ، وما يزالان يخلقان هذا الجدل إلى يومنا هذا ، حيث لم يتفق العلماء بعد على أصل الصيغة ووزنها .

فهذا ابن هشام اللخمي يطرح الموضوع قائلا : " قِلت من القائلة قيلولة ، وهي نوم نصف النهار ، ووزن قيلولة عند البصريين : فيعلولة ، والأصل : قيّلولة ، وكذلك كيّنونة ، ولو كانت فيعولة [2] كما يقول الكوفيون ، لقالوا كونونة ، وهم لم يقولوا إلا كينونة ، وزعم الفراء من الكوفيين أن كيْنونة وأخواتها أريد بهن (فُعْلولة) ففتحوا أولها كراهية أن تصير الياء واوا ، ومن أقوى حجج البصريين في ذلك أن الشاعر قد نطق بها على الأصل فقال : (مشطور الرجز)

---

[1] - المذكر والمؤنث للمبرد 90 .

[2] - هكذا جاءت في المصدر عند الشارح وأراه خطأ ، فربما قصد (فعلولة) كما سيتضح فيما بعد .

يا لَيْتَ أَنَّا ضَمَّنَا سَفينَهْ حتى يعودَ الوصْلُ كَيّنُونَهْ " 1 .

ويشير الزمخشري أيضا إلى هذا الخلاف فيقول : " واختلفوا في القيلولة ، فقال البصريون : كان في الأصل قيّلولة على فيعلولة ، فخففوا كما خففوا ميّتا وهيّنا فقالوا : ميْت وهـيْن . وقـال الفـراء : كـان الأصل (فَعلولة) ، وهذا الأصل لذوات الياء كقولهم حيدودة وطيرودة وقيلولة وأشباهها ، ولم يأت في ذوات الواو إلا قليلا ، قالوا كينونة وديمومة وسيدودة وهيعوعة " 2 .

وأشار أبو جعفر اللَّبلي إلى القضية أيضا حيـث " قـال الشـيخ أبـو جعفـر : وبـين النحـويين اختلاف في وزن قيلولة ، فذهب البصريون إلى أن وزنها فيعلولة : قيولولة مثل (كيونونة) فقلبـوا الـواو ياء وأدغموا فقالوا : قيّلولة وكيّنونة ثم خففوا كما خففوا الميّت فقالوا : المَيْت . وذهب الكسـائي إلى أن وزنها : فَعْلولة ، بالياء وهي من الواو . فقيل في رده : لو كان ما قاله حقا لقالوا (كونونة) لأن كان من ذوات الواو وهم لم يقولوا إلا كينونة ؛ فقال الكسائي في الانفصال عن ذلـك : هـي مـن الـواو ولكـن قلبت الواو من الياء لأنهما أختان يتعاقبان كما قالوا : دام ديمومة وسـاد سـيدودة وهـاع هيعوعـة ، مـن التهوع وأصله كونونة مخففة وسودودة ودومومة " 3 .

ولم ينس اللبلي رأي الفراء أيضا " وذهب الفراء إلى أن كينونة وأخواتها أريد بهن فُعلولة ففتحوا أولها كراهية أن تصير الواو ياء ، فقالوا قَيلولة وهذا الأصل لذوات اليـاء كقـولهم : حيـدودة وطـيرودة وأشباههما . قال ولم يأت في ذوات الواو إلا قليلا نحو كينونة وأخواتها . قال الشـيخ أبـو جعفـر : ومـن أقوى حجج البصريين على تصحيح مذهبهم أن الشاعر قد نطق بها على الأصل فقال : (مشطور الرجز)

يا لَيْتَ أَنَّا ضَمَّنَا سَفينَهْ حتى يعودَ الوصْلُ كَيّنُونَهْ " 4 .

---

[1]- شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي , 86
[2]- شرح الفصيح ، للزمخشري , 191
[3]- تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح القسم الأول , 487 - 488
[4]- تحفة المجد الصريح , 488

وكان ابن الأنباري في الإنصاف قد أتى بالأبيات كاملة ، وأرجعها إلى الضرورة ورأى " أن المعتل يختص بأبنية ليست للصحيح ... منها فيعلولة نحو كينونة وقيدودة أالأصل كيّنونة وقيّدودة والذي يدل على ذلك أن الشاعر رده إلى الأصل في حالة الاضطرار قال الشاعر : (مشطور الرجز)

قد فارَقَتْ قَرِينَها القَرِينه وشَطَحَتْ عنْ دارِها الظعينَهْ

يا ليتنا قد ضمنا سفينَهْ حتى يعودَ الوصلُ كيّنونهْ

إلا أنهم خففوه كما خففوا (ريْحان) وأصله (ريّحان) بالتشديد على (فيعلان) " 1 .

ومبدأ التخفيف عند ابن الأنباري هو الذي قال به البصريون " والتخفيف في نحو (كيّنونة وقيّدودة) واجب وذلك لأن نهاية الاسم بالزيادة أن يكون سبقه أحرف وهو مع الياء على سبعة أحرف فخففوه كما خففوا اشهيباب فقالوا اشهياب ، وإذا جاز الحذف فيما قلت حروفه ... لزم الحذف فيما كثرت حروفه " 2 .

وكان الكوفيون قد فتحوا الفاء التي رأوها مضمومة في الأصل " كُونونة وقُودودة على فُعلولة نحو (بُهلول وصُندوق) إلا أنهم فتحوا أوله لأن أكثر ما يجيء من هذه المصادر مصادر ذوات الياء ، كقولهم طار طيرورة ، وصار صيرورة ، وسار سيرورة ، وحاد حيدودة ، ففتحوه حتى تسلم الياء لأن الباب للياء ثم حملوا ذوات الواو على ذوات الياء ، لأنها جاءت على بنائها ، وليس للواو فيه حظ ؛ لقربها في المخرج واشتراكها في اللين ، فقلبوا الواو ياء في نحو (كيّنونة وقيّدودة) كما قالوا في الشكاية وهي من ذوات الواو لقولهم شكوت أشكو شكوا ؛ لأنها جاءت على مصادر الياء نحو الدراية " 3 .

وكان سيبويه صاحب المذهب في هذه المصادر يقول : " قد يخصون المعتل بالياء لا يخصون به غيره من غير المعتل ألا تراهم قالوا كينونة والقيدود ... وإنما هو من قاد يقود ... فأصلها فيعلولة أ وليس في غير المعتل فيعلول مصدرا " 4 .

---

[1]- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، أبو البركات بن الأنباري , 640

[2]- الإنصاف ، 641

[3]- الإنصاف ، 641

[4]- الكتاب , 4 / 365

وبناء فيعلولة عن البصريين مر بثلاث مراحل حتى يخرج الكلمة عن بناء (كونونة) لما حدث في رأيهم من اجتماع الياء والواو في كيونونة[1] وبالتالي تقلب الواو ياء وتشدد ، ثم تأتي المرحلة الثالثة من التطور وهي التخفيف " ولولا ذلك لقالوا كونونة لأنه ليس في الكلام فَعلول " 1 .

وقد لاقى رأي الكوفيين قبولا عند بعض الباحثين المعاصرين ؛ نظرا لبساطته في تفسير التطور الذي أشار إلى أنه لا حذف ، يقول أحدهم :" والواضح أن رأي الكوفيين في هذه المسألة مقبول والأولى ؛ لأنه لا داعي لكل هذه التقديرات " 2 ، التي ذهب إليها البصريون .

والصيغ التي يتكرر فيها الأصل الثالث صيغ متوافرة في اللغة العربية واللغات السامية ، ففي العربية من مادة (رعد) رجل رعديد ورعديدة : جبان ، وامرأة رعديدة : يتدحرج لحمها من نعمتها ، والرعديد : المرأة الرخصة ، ومن مادة رعش رجل رعشيش مثل رعديد3 . ومن تلك الصيغ العربية أيضا : زحلول (سريعة) ، دعرور (منخفضة) ، سبرور (ضعيفة) وهي من وزن فُعلول وفَعلول : qatlul , qutlul . ومنها أيضا شِملال فِعلال (رشيق سريع) ، وطِملال (ثياب بالية) 4 . وأكثر ما توجد هذه الصيغ في النعوت وهذه النعوت تدل على المبالغة والتأكيد 5 . ويوجد مثلها في اللغات السامية صيغ مكررة الأصل الثالث بأوزان مثل : قَبْرر qabrar ، وقَبرور qabrūr ، وقِبرر qibrir ، وقُبرُر qubrur 6 .

وتكثر الصفات التي تشبه بناء (قيلولة وكينونة) في اللغات السامية في حين تقل المصادر كما هي قليلة في العربية ، فمن هذه الأسماء، كما يشير إليها بارث :

---

[1]- لسان العرب / كون

[2]- ما فات الإنصاف في مسائل الخلاف ، فتحي بيومي حمودة , 454

[3]- انظر : المعجم المفصل في المذكر والمؤنث ، إميل بديع يعقوب 223 - وانظر : لسان العرب / رعد .

[4] -J.Barth: 215 انظر :

[5]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 134

[6]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 135 - 136

- في العبريـــة : **שְׂעָרוֹרָה** śa'arorāh بجـــوار **שְׂעָר** (شْـــعار) (مـــروع – ســـيئ Grässliches) - **נַעֲצוּץ** (na'ṣóṣ) (شوكة) - **נָהָלָל** (nahlal) – (شق) 1 .

- ومن هذه الأسـماء في السرـيانية : ܡܪܛܘܬܐ (marṭóṯā) (تصـحيح) - ܡܪܘܪܐ (mrórā) (نوع من الناي) - ܥܪܘܪܐ (ʿārórā) (حفـاض) . - وفي التلمـود : **שמנונית** (šamnonītā) (السمنة) - **רקבוביתא** (raqbobītā) (متحرر) 2 .

تلك كانت مجموعة من الأسماء السامية التي يلاحظ أن عينها غير معتلة ، وجاء من الصفات أيضا بنفس الوصف :

- في العبريـــة : **הַחְלִילִי** haḫlīly (احمـرار) ، وفي الآراميـــة : بَعِرِيـرُا (ba'īrīro) (بري) ، وهي صفات على وزن qatlil فعليل 3 . ومـا جـاء عـلى وزن qatlul فعلـول : في الحبشية : ሐባቀቅ (ḫabaqoqa) (أرقط) 4 .

و إنما عرضنا هذه الصيغ لبعض الصفات و الأسماء لندلل على أن تكرار الجذر الثالث أمر طبيعـي في اللغات السامية ، ولكن بارث رفـض الـربط بـين تلـك الصـيغ السـابقة وبـين (قيلولـة وكينونـة) لأن الأخيرتين من المصادر 5 . كما أننا عرضنا تلك الأسماء والصفات ذوات العين غير المعتلة ، والتـي لا يوجـد إشكال في وزنها كما رأينا في العربية أو الساميات . وتكمن المشكلة في مثل (قيلولة وكينونة) والتي خلقـت جدلا خلافيا واسعا أن عين الفعل فيها معتلة بطريقتين مختلفتين إحداهما بالواو والأخرى بالياء .

وقد حاول بارث فك اللغز في (قيلولة وكينونة) من خلال العبرية والعربية مـن خـلال أمثلـة مشابهة " وفي العبرية لدينا صيغة تمثل الشكل الأسـاسي لصـيغة **נִיחוֹחַ** (nayḫóḫ) ، وهـي صـيغة المصدر (نياح) = بالعبرية **נִיוֹחַ** (neyóḫa) ،وصيغة **כַּיְדוֹד** (kaydód) من المصدر **כִּיוֹד** (kyód)

[1] -J.Barth: 213
[2] -J.Barth: 216
[3] -J.Barth: 215
[4] -J.Barth: 215
[5] -J.Barth: 213

)(شرارة) " 1 . والجذر الأول من **נוח** (ن و ح) الواوي والثاني من الجذر (كـاد) اليـائي 2 . وأصـله (ك ي د) .

وقبل أن يوضح رؤيته حول سر تصريف الصيغة راح بارث يهاجم البصريين والكوفيين كليهما فيما ذهبوا إليه ورفض وزن (فيعلولة البصري) ووزن (فعلولة) الكوفي ورآها محـاولات غـير مرضـية بالمرة لتفسير هذه الأشكال ورأى أن هذه الصيغ متكونة من جذورها الأساسية بدون تغيير 3 . ولاحظ بارث أن مجرد ما يحدث في هذه الفئة أن يتكرر الجذر الثالث من الأفعال الجوفاء الواوية واليائية 4 .

وليس الأمر بهذه البساطة كما يبدو من كلامه فإن تكرار الجذر الثالث في مذهب بارث جاء عن طريق لم يقل به أحد من قبل " إن المصدر الأساس لمثل هذه الأفعال المعتلة : (بُيون) بجوار بينونـة ، (صُيوب) بجوار صيبوبة ، (خُيـوم) بجـوار خيمومـة ، (بُيـود) بجـوار بيـدودة ، (شُـيوع) بجوار شيعوعة ، (غُيوب) بجوار غيبوبة ، ويبدو أن شكلها الأقدم (فُعول) بدون تكـرار للجـذر الثالث ... ثم حدث أن دخلت صيغة أقوى (بَينونة) من المصدر (بُيون ← بُيُونة ← بَيُونة ثم المصـدر بَيْنُونَة) وما حدث كان على النحو التالي :

baynūnat < bayūnat < (buyūnat)

baydūdat < bayūdat < (buyūdat) ..... " [5] .

وتفسير بارث تفسير متكلف للغاية إن لم نصفه بغير المنطقـي ، فقـد رفـض تفسـيرات العـرب القدماء وكانت أكثر منطقية من تفسيراته في أصعب الأحـوال ، فهـو يعقّـد الأمـر علينـا ؛ حيـث راح يستدل على ما رآه حاصلا في العبريـة ، " فـالتكرير الحاصـل في **ניחוח** neyóḥa و **כידוד** kaydód هام جدا يتضح مما حدث في العبرية من الفعـل الأجـوف (فـال qal) ، ويؤكـد أن ذلـك حـدث في

[1] -J.Barth: 212
[2] -J.Barth: 210
[3] -J.Barth: 210 - 211 انظر :
[4] -J.Barth: 210 انظر :
[5] -J.Barth: 211 - 212 انظر بتصرف يسير :

العبرية محققا الافتراض القائل بأن الحرف الأول من الصوتين المتماثلين يتجنب إدراج الصائت الوسيط الياء " 1 . يقصد أن كل الصيغ بالواو بعد اللام الإولى!.

وكلها افتراضات غير مريحة لا دليل عليها خصوصا بعد ما رأيناه عاجزا عن تفسير مثل (كينونة) الواوية الأصل ، وراح يفسرها – قياسا على ما ادعاه – على حالها الواوي (كونونة) فيقول : " ومن المرجح أن الأسماء ذوات الأصل الواوي تندرج تحت الرأي السابق " 2 . وكذلك قوله : " ويمكن قياس (كونونة) على ما حدث في (غيبوبة) " 3 .

وإذا تأملنا حال (قيلولة وكينونة) سنجدها ضمن مجموعة من الأبنية المأخوذة من أفعال جوفاء واوية ويائية ، فالواوي مثل : ديمومة ، حيلولة ، واليائي مثل : غيبوبة وبينونة وصيرورة وحينونة وبيتوتة وشيخوخة ، ونلاحظ أمرين :

1- الواوي أقل من اليائي .

2- لام الفعل مكررة في المصدر .

وترجع قلة الواوي بجوار اليائي إلى واحد من أمرين :

- قلة الأفعال الواوية أمام اليائية على ما ذهب إليه القدامى في كثير من ملاحظاتهم .

- تأكيد لما ذهب إليه بعض القدماء من أن أصل الصيغة يائي والواوي قلب إلى اليائي لأسباب منها حمل الواوي على اليائي .

وتكرار لام الفعل في المصدر في تلك الصيغ ومثيلاتها جعل طائفة من الباحثين المعاصرين يذهبون إلى تأكيد نظرية سامية تخص الأفعال الجوف والأفعال المضعفة والعلاقة بينهما ، " لقد ذهبت

[1] -J.Barth: 212
[2] -J.Barth: 212
[3] -J.Barth: 212

obeikandi.com

طائفة من الباحثين إلى أن ثمة علاقة بين الفعل المضعف والفعل المعتل ، وأن هـذا المعتـل إنـما نشـأ عـن طريق الإبدال والتعويض في الفعل المضعف ، من ذلك ما ذكر من أن مادة (كنّ) الفعل المضعف أصـل في (كان) وكذلك مادة (غبّ) أصل في (غاب) ومادة (جبّ) أصل في (جاب) " 1 .

وكان د. إبراهيم السامرائي مـن الـذاهبين إلى إقـرار أن الفعـل الأجـوف متطـور عـن الفعـل المضعف" إن الفعل المضعف وَلّد على طريقة الإبدال والتعويض الفعلَ الأجوف لذا فإن حـروف المـد وسائل مهمة بيد واضع المعاني لابتكار معـان جديـدة وهـي لوجـود فكـرة المـد فيهـا داخلـة في ضـمن الحركات التي تعبر أيضا عن الوسائل المهمة في هذا السبيل " 2 .

واتخذ الدكتور إبراهيم السامرائي من مثل الأبنية المـذكورة (قيلولـة وكينونـة) دلـيلا عـلى مـا ذهب إليه يقول: " والدليل في هذه السبيل الموحشـة معـالم لغويـة احتفظـت بهـا العربيـة تشـير إشـارة واضحة إلى الأصل التضعيفي الذي ذهبنا إليه"وهو أن لكثير من هذه الأفعـال الجـوف مصـادر تحـتفظ بالحرف المضاعف ... هذه المصادر تشير إلى هذا الأجوف الذي جاء من المضـعف ، فـالألف في صـورة الماضي والواو والياء في صورة المضارع تعويض من الفعل المضعف " 3 . ورأى السامرائي حرف الياء " الذي لزم هذه المصادر حشوا مفيدا ربما جيء به ليبعد الكلمة عن وزن الصفة وهي فُعُول " 4 .

وكان الدكتور إبراهيم أنيس أسـبق في طـرح هـذه النظريـة عـام 1944 في بحـث في اشـتقاق حروف العلة ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، وذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن هذا القبيـل من الأمثلة شائع في العبرية أيضا من ذلك :

צרר صارت إلى **צור** (ربط) (ṣārar –ṣór)

רמם صارت إلى **רמה** (سكت) (rāmam - rmah)

---

[1]- في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية ، غالب فاضل المطلبي , 195

[2]- فقه اللغة المقارن ، إبراهيم السامرائي, 197

[3]- فقه اللغة المقارن ، 197 - 198

[4]- فقه اللغة المقارن ، 198

זכך صارت إلى **זכה** (طهر) (zāḫaḫ – zḫah)

مما يعني أن الأصل في المعتل إنما كان التضعيف ثم أبدل أحد الصوتين صوت مد للمخالفة [1].

ونسب د. إبراهيم أنيس هذا التطور إلى قانون المخالفة ، يقول : " وقد دلت البحوث التي قام بها علماء الأصوات أن ظاهرة المخالفة قد شاعت في كثير من اللغات السامية ، وليست هذه الظاهرة إلا تطورا تاريخيا في الأصوات ، ولم يفطن علماء العربية القدماء لهذه الظاهرة ولم يولوها ما تستحق من عناية ، واضطرب تفسيرهم لها " [2] .

ورغم خلافنا معه في أمر معرفة القدماء بظاهرة المخالفة ، إلا أننا نقدر جهوده في إدراك التطور التاريخي للفعل المضعف والمعتل منه ، يقول : " وإن نظرة سريعة في كتب اللغة وقواميسها ساعدتني على جمع عشرات من أمثلة ، فيها معتل العين أو اللام يشترك في المعنى مع مضعف من نفس المادة ، ويظهر أن الأصل في كل هذه الأمثلة هو التضعيف ، ثم سهل مع تطور الزمن بالاستعاضة عن أحد الصوتين المتماثلين بالياء أو الواو لخفتهما "[3] .

وفي موضع آخر يستكمل نظريته فيقول : " ولا أشك في أن هناك عشرات أخرى يمكن العثور عليها . كما أني عثرت على كثير من هذا النوع من الأمثلة في اللغة العبرية مما يجعلني أرجح شيوع هذه الظاهرة في اللغات السامية ... وأسوق هنا بعضا من الأمثلة في العربية والعبرية : الطحّ : البسط . طحا كسعى : بسط / المحّ : صفرة البيض والماح صفرة البيض / الجبّ والجوب : القطع / عسّ طاف بالليل وعاس الطوفان بالليل / زحّه نحاه عن موضعه . زاح يزيح بعد وذهب وأزحته . " [4]. و بالنظر في العبرية أيضا أتى لنا بالأمثلة السابقة إضافة إلى : " **משש** =māŝaŝ **מוש** móŝ بمعنى لمس " [5] .

---

[1]- انظر : الأصوات اللغوية , إبراهيم أنيس 251 , في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية ، 195 .

2 - الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس , 211 – 212

3 - الأصوات اللغوية ، 212 – 213

4 - الأصوات اللغوية ، 251

5 - الأصوات اللغوية ، 251

obeikandi.com

واعتمادا على هذه النظرية وعلى الأمثلة التي قدمناها سابقا لنظائر كينونة وقيلولة في بعض اللغات السامية يجوز القول بأكثر من رأي كما يلي :

1- إن وزن الصيغة هنا هو : فَيْلُولة ، على أساس أن حرف العلة قد سقط في الصيغتين وحل محله الياء ، وربما كان هذا مقصد د. السامرائي من قوله عن الياء (هو حشو مفيد) . وهذا القول – إن قيل – مردود عندي ؛ لأن عين الكلمة لم تسقط ؛ دل على ذلك وجودها في الصيغ الصحيحة مكررة اللام التي مثلنا لها من العربية واللغات السامية ، كما لا يوجد سبب لإسقاط العين في الصيغ الفعلية الجوفاء .

2- ويمكن لقائل أن يقول : ولكن كيف يكون الحال إذا قبلنا بنظرية التعاقب بين الواو والياء وهما أصلان ؟! ، في هذه الحالة سنقبل بأن يكون وزن الصيغة الفعلي هو (فَعْلولة) . فلما كنا نتعامل مع فعل معتل أجوف قائم بالفعل كمرحلة متطورة مستقرة في العربية الفصحى والساميات وجب علينا أن نقبل رأي من قال من الكوفيين بأن وزن الصيغة هو (فَعلولة) . ويؤيد هذا الرأي آراء القدماء في التبادل بين الواو والياء فيما يسمونه (المعاقبة الحجازية) .

وبذا تكون الصيغة (قيلولة) صيغة أصيلة الياء أصيلة الوزن (فعلولة) أما (كينونة) فهي ذات ياء متطورة عن الواو وتأخذ نفس الوزن لواحد أو أكثر من الأسباب التالية :

- طردا للباب على وتيرة واحدة ومسايرة للصيغة الأكثر انتشارا .
- التبادل الواقع بين الواو والياء والمقبول لغويا .
- اختيار الياء على الواو لأن الكلمة مؤنثة والتأنيث يميل إلى الكسر والياء في اللغة العربية .
- مالت الواو إلى الياء في كونونة كراهية لتوالي الأمثال .

بقي أن نشير إلى رأي ابن جني في التبادل بين الواو والياء في مثل (كونونة) بالرغم من أنه يرى رأي البصريين فهي عنده فيعلولة [1] ، ففي باب سماه (باب في الاستحسان) : " ومن ذلك تركك

[1]- الخصائص, 2 / 289

obeikandi.com

الأخف إلى الأثقل من غير ضرورة نحو قولهم : الفتوى والتقوى والبقوى وشروى ونحو ذلك ألا ترى أنهم قلبوا الياء هنا واوا من غير استحكام علة أكثر من أنهم أرادوا الفرق بين الاسم والصفة ؟! " [1] .

وفي موضع آخر يشير إلى أن " الواو قلبت ياء استحسانا لا عن قوة علة في نحوغديان وعشيان " [2] . وفي موضع آخر يقول " ألا ترى إلى كثرة غلبة الياء على الواو في عامّ الحال ، ثم مع هذا فقد ملّوا ذلك إلى أن قلبوا الياء واوا قلبا ساذجا ، أو كالساذج لا لشيء أكثر من الانتقال من حال إلى حال " [3] . وأخيرا يقول ابن جني: " الياء أشبه بالواو من الحرف الصحيح في باب قيدودة وكينونة " [4] . وعليه يمكننا توقع ظهور كونونة بالفعل في نطق بعض العرب القدماء ، وهو ما لم يجده الباحث ! .

ويفسرها صوتيا د. إبراهيم أنيس حيث ينسب الواوي إلى البدوي واليائي إلى الحضري " فإذا تذكرنا ما نعرفه عن دراسة الأصوات وطبيعتها وجدنا أن الواو ليست في الحقيقة إلا امتداداً للضم مع فرق طفيف في وضع اللسان ، وأن الياء هي امتداد للكسر مع الفرق الطفيف نفسه في وضع اللسان ، فكأن الحجازيين كانوا يميلون إلى الكسر في حين أن غيرهم من البدو كانوا يميلون إلى الضم " [5] .

3 – والباحث يميل إلى الرأي الآتي : إن بناء الصيغة (قيلولة وكينونة) جاء من الفعل المضعف على الأصل (كنّ – قلّ) وبالتالي فإن الوزن في هذه الحالة هو : فيعولة ، فالياء والواو كلتاهما دخيلتان ؛ وقد قلنا بهذا الرأي لأسباب عدة : نظرا لثبات الياء في الواوي واليائي ؛ وأن أصل الصيغة هو الثنائي المضعف ، وهي رؤية وجيهة تؤخذ في الحسبان ؛ وتتوافق مع نظرية الدكتور أنيس من تطور الصيغة المضعفة ؛ وتتواءم مع تكرار الحرف في البنية الموجودة . كما أنها لا تدخلنا في متاهة التبريرات التي تعلل لنا وجود الياء في الصيغة الواوية ، وتستبعد التعقيدات الصرفية التي لا تستند إلى شواهد

[1]- الخصائص, 1 / 133 - 134
[2]- الخصائص, 1 / 207 ، 3 / 161
[3]- الخصائص, 1 / 87
[4]- الخصائص, 2 / 290
[5]- في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس , 83

قوية أكثر من إعمال العقل . زد على ذلك أنها تتوافق مع اللغات السامية ، خصوصا ما جاء في العبرية منها .

وأما رأي البصريين القائل بأن وزن الصيغة (فيعلولة) فهو رأي افتراضي في المقام الأول لم نستدل له على حجة في الساميات المقارنة كما أنه يميل إلى تعقيد مسألة تطور الصيغة في أكثر من مرحلة ، بدون استدلال على تلك المراحل – كعادة الصرفيين القدماء في كثير من المواقع – أما شاهد البصريين الذي تقدم ذكره فهو شاهد وحيد لا يصمد أمام الدراسة السامية المقارنة ، وكذا الدراسة التاريخية التي لم تظهر استعمال اللفظ في أي نص آخر أو قبيلة محددة ، ويمكن عزو الشاهد كما ذكر ابن الأنباري إلى ضرورة إقامة الوزن .

***

11- ناس :

الخلاف حول اشتقاق لفظ (الناس) عند العرب القدامى يدور حول أكثر من موضع :

- هل أصله بالهمز أم بدون الهمز ؟
- هل فعله نوس أم أنس ؟ .

يقول ابن الجبان " والناس بنو آدم وهو اسم جنس ، واختلف الناس في أصله فبعضهم يذهب إلى أن أصله نوس ، فصار ناسا ثم أدخلت لام التعريف عليه فصار الناس ، وسموا بذلك لتحركهم في حوائجهم ، يقال : ناس الشيء ينوس : إذا اضطرب وتحرك . ومنهم من يقول أصل الناس أناس ، والهمزة فاء الفعل وهو فعال من الإنس أو الأَنَس والإيناس .

وقد جاء الأناس بمعنى الناس ، قال الشاعر : (مجزوء الكامل)

إنّ المَنايا يَغْتدينَ عَلَى الأُناسِ الآخَرِينا

وتصغير الناس على المذهب الأول : نُوَيْس ، كباب وبويب ، وعلى المذهب الآخر : أُنَيس مثل غراب وغريب وغلام وغليم " 1 .

وكان أبو سهل الهروي قد عرض لأحد الرأيين فقال : " وقيل اشتقاق الناس من الأَنَسة وهي الاستئناس ؛ لأن بعضهم يأنس ببعض ، ولايأنس بغيرهم من الحيوان " 2 .

ورأى البصريون أن " الهمزة في الأنس أصلية وأن الناس مأخوذة من من الأنس ، وأن الإنسان (فِعلان) مأخوذ من الناس ، وسمي الإنس إنساً ، لظهورهم كما سمي الجن جنا لاجتنانهم أي استتارهم ، ويقال آنست الشيء إذا أبصرته . قال الله تعالى : ﴿ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً ﴾[القصص28 / 29].أي أبصر، و كما أن الهمزة في الإنس أصلية ولا ألف ونون فيه موجودتان فكذلك الهمزة أصلية في إنسان " 3 .

أما الكوفيون فقد نفوا أصالة الهمزة في (إنسان) يشير ذلك إلى ربطها بالناس – فذهبوا إلى أن وزنه (إفعال) لأنه مأخوذ من النسيان 4 .

وكان سيبويه قد ذكر أن أصل ناس (أناس) أما " إذا أدخلت الألف واللام قلت الناس ، إلا أن الناس قد تفارقهم الألف واللام ويكون نكرة " 5 . وإلى قريب من ذلك ذهب ابن جني وفي رأيه " قد حذفت الفاء في أناس ، وجعلت ألف فُعال بدلا منها فقيل (ناس) ومثالها (عال) " 6 .

ولأصالة الهمزة أكثر من شكل عند ابن دريد " يقال ناس وأناس وأناسيّ ، وذكر أبو زيد أنه سمع عن الأعراب أنهم يقولون ذاك آناس من الأناس . قال الشاعر (بسيط) :

..... قد قال ذلك آناسٌ منَ النَّاسِ " 7 .

---

[1]- شرح الفصيح في اللغة ، لابن الجبان , 88 - 89
[2]- إسفار الفصيح ، للهروي , 314
[3]- الإنصاف ، 653
[4]- الإنصاف ، 652
[5]- الكتاب 2 / 196
[6]- الخصائص ، 2/ 285 ، 1/ 271
[7]- الاشتقاق ، 265

وفي لسان العرب (مادة نوس) : " الناس قد يكون من الإنس ومن الجن ، وأصله أناس ، فخفف ، ولم يجعلوا الألف واللام فيه عوضا عن الهمزة المحذوفة ؛ لأنه لو كان كذلك لما اجتمع مع المعوض منه في قول الشاعر :(مجزوء الكامل)

إنَّ المَنايا يَطَّلعْـــــــنَ على الأُناسِ الْآمِنينا " 1 .

وقد أقر الباحثون المعاصرون رأي البصريين في أصالة الهمزة من الناس " وقد يحذف مع الحركة همزة قبلها نحو : الله بدل الإله ، والناس بدل : الأناس ، فأصل حذف الهمزة هنا في التعريف ، ثم نقل إلى التنكير أيضا فقالوا ناس بدل أناس " 2 .

وقدم الدكتور رمضان عبد التواب آراء قيمة في تأصيل (الناس) من خلال الدراسة المقارنة للغات السامية خاصة العبرية . وأكثر من ذلك فقد قدم ربط بينها وبين الكلمتين : (أنثى) والمذكر البائد لها (أنث) من خلال الدراسة المقارنة أيضا .

يتضح ذلك في تبني العربية الفصحى تحقيق الهمز ، فقد سارت فيه على الأصل " إلا في كلمات قليلة نراها في الفصحى غير مهموزة وحقها الهمز ومن أمثلة ذلك كلمة (ناس) فإن الأصل فيها هو كلمة (أناس) المستعملة في الفصحى كذلك ، والدليل على أصالة الهمزة في هذه الكلمة وجودها في بعض اللغات السامية كالعبرية ، فهي فيها أناشيم אֲנָשִׁים anāšīm، وهو فيها جمع مفرده : **אִישׁ** (إيش) بمعنى رجل ، والياء فيه بدل من النون بدليل وجودها في الجمع ، كما أن هناك مفردا نادرالاستعمال في العبرية يحتوي على هذه النون كذلك وهو : **אנוש** إنوش ويقابل في العربية كلمة (إنس) " 3 .

---

[1]- لسان العرب / نوس

[2]- التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر, 69

[3]- مشكلة الهمزة العربية ، رمضان عبد التواب , 25 – 26 / في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية ، رمضان عبد التواب , 130

والجمع في العبرية يقابل الجمع في العربية أيضا ويدل على أن الهمزة أصلية حيث يقول الدكتور رمضان عبد التواب : " والجمع אֲנָשִׁים ʾanāŝīm يقابل في العربية (أناس) و (أناسيّ) ، والهمزة في الكلمة دليل على أن (الناس) مخفف في العربية من (الأناس) أما المؤنث فهو אִשָּׁה ʾeŝŝa وهو يقابل أنثى في العربية وجمعه נָשִׁים naŝīm وقد يقابل في العربية الجمع (نسوة) " [1] .

وفسر الدكتور رمضان الأمثلة غير المهموزة في العربية وحقها الهمز بمبدأ " الاستعارة من نظام لغوي مجاور ، ... ويشيع سقوط الهمزة في (ناس) مع أداة التعريف ويندر في غير ذلك " [2] .

وكما ظهر لنا من فائدة المقارنة في الكشف عن علاقة ما بين : الناس ، والأنثى ، والنسوة ، فإن العبرية تقدم لنا المذكر אִישׁ ʾeīŝ = رجل ومؤنثه אִשָּׁה ʾeŝŝa " وأصله אִנְשָׁה ʾenŝā فأدغمت النون في الشين ، وهذا المؤنث يقابل كلمة أنثى في اللغة العربية ، فالشين والثاء تتبادلان في العبرية والعربية . ويظهر أن الياء في كلمة אִישׁ (إيش) أصلها هي الأخرى نون ، وأنها بهذا تقابل كلمة (أنث) مذكر (أنثى) وهي كلمة نفترض وجودها في العربية البائدة ، أو أنها تقابل كلمة (إنس) في العربية ، وقلب النون ياء معروف في العربية فقد روى أن قبيلة طيئ تقول : " رأيت إيسانا " بالياء ، والدليل على أن أصل الياء نون وجودها في الجمع אֲנָשִׁים (أناشيم) ، وجمع אִשָּׁה ʾeŝŝa هو נָשִׁים (ناشيم) " [3] . ومما يؤكد تبادل الشين والثاء في العربية و العبرية الفعل שָׁב ŝāb = ثاب – رجع [4] .

والشين في אִשָּׁה (إشّه) مشددة وسبب الشدة كما يرى الدكتور رمضان " إدغام النون فيها ، كما يقابل الكلمة في الآرامية : ʾatta ʾ ، وفي الحبشية ʾanest ʾ ، وفي الأشورية : aŝŝatu " [5] .

---

[1]- في قواعد الساميات 130/ وانظر : بحوث و مقالات في اللغة , 82
[2]- بحوث و مقالات في اللغة , 82
[3]- في قواعد الساميات , 76
[4]- انظر : في قواعد الساميات 115
[5]- في قواعد الساميات ، 115

ولم يكن الدكتور رمضان عبد التواب هو الوحيد الذي ربط بين الجذرين (أنس) و (أنثى) وعلاقتهما بالناس ، حيث يرى د.عبد الرحمن السليمان " أن الجذر الجزيري (السامي) الدال على الإنسان رجلا كان أم امرأة هو (أ ن س) ، وهناك قانون صوتي مطرد في اللغات الجزيرية مفاده أن حرف (السين) في اللغة الجزيرية الأم التي تفرعت عنها كل اللغات الجزيرية يبقى في العربية (سينا) ويصبح في السريانية (شينا) وكذلك في البابلية والعبرية ... وإذا طبقنا هذه القاعدة على الجذر (أناس) لوجدنا أن (أنس) الجزيرية بقيت (أنس) في العربية وأصبحت في العبرية " אנש (إنش) ومنه (أناشيم) أي الناس الذي يجانسه في العربية (أناس) " [1] .

وللدكتور عبد الرحمن السليمان جهود بارزة في الدعوة لنشر حقيقة أن العربية هي أم اللغات السامية والتي سماها الجزيرية واستبدل مصطلح اللغات الجزيرية باللغات السامية ؛ نسبة للجزيرة العربية مهد العربية الأم ، وينطلق في آرائه من حقيقة أن الساميات الأخرى أخذت من العربية لأنها المصدر والأساس .

وقد ربط الرجل بين (الناس والنساء) أيضا " فإذا نظرنا في الكلمة العبرية نشي (م) = نساء ، والسريانية نشي (ن) = نساء أيضا لاستنتجنا بسهولة أن التطور الصرفي للجذر (أ ن س) إلى (نسو) وقع في العربية والعبرية والسريانية ، وهذا من عجائب الاتفاق اللغوي " [2] . وكان مراد فراج المحامي قد أحس بالعلاقة السابق ذكرها فرأى أن " باب (إيش) عبريا يدخل أيضا في (إنس) كأنثى والإناث أو النساء (نَشيم) " [3] .

وتؤكد النقوش النبطية التي يقدمها خبير النقوش الجزيرية د. سليمان بن عبد الرحمن الذييب العلاقة بين الجذرين (إ ن س) و (إ ن ث) السابق ذكرهما ، فقد وردت كلمة (أنثى) في النقوش

[1]- ملاحظات ومقارنات لغوية ، عبد الرحمن السليمان , ص2
[2]- ملاحظات ومقارنات لغوية , ص2
[3]- ملتقى اللغتين العبرية والعربية ، مراد فرج المحامي, 1 / 324

obeikandi.com

النبطية مثل الصيغة العبرية (אשה) (ʾeššâ) وبالحروف (أ ث ت هـ) " أي أنثاه : زوجته وأصلها (أ ن ث ت هـ) وردت بصيغة (أ ث ت) في الأوجاريتية والسبئية والعبرية بصيغة אִשָּׁה (ʾeššâh) ، وأيضا الحبشية ، وجاءت بصيغة נשין (نشين) في السريانية ، و(ا ث ت س) في القتبانية " [1] .

وقد وردت الصيغة بالنون صراحة في المعجم النبطي بصيغة (أ ن ث ت هـ) : أنثاه ، ووردت بالهاء في حالة الإطلاق (عدم الإضافة) : أ ن ث هـ ، ووردت بالتاء في حالة الإضافة أ ن ث ت [2] . ويتضح من لغة النقوش المذكورة تداخل صوتي بين السين والشين ، وبين الثاء والتاء وهو الحاصل بالفعل بين الساميات ويظهر واضحا في اللهجات العامية المعاصرة .

وبغض النظر عن الربط بين (ناس) وأنثى ونساء وغير ذلك ، فإن الذي يهم في هذا الربط – في مقامنا هذا – هو أصالة الهمزة في (أناس) في شتى المقارنات السامية . وإذا تتبعنا بعض المراجع المختلفة للغات السامية سنجد في الآرامية أن الكلمة (ناس وإنسان) بالألف في أولها مع ملاحظة أن الألف تكتب ولا تنطق 𐡍𐡀𐡔𐡀 Nacha [3] . يقول إقليميس يوسف داود الموصلي : " كثيرة هي الحروف التي تسقط أي تكتب ولا تقرأ والإسقاط نوعان : إسقاط أصلي وإسقاط عرضي ، فمما يُسقط الإسقاط الأصلي الألف 𐡍𐡀𐡔𐡀 (أناس) والعرب قد يسقطون الألف ويقولون (ناس) " [4] .

و قد أكد المستشرقون [5] أن اللفظ بالهمزة الأصلية في اللغات السامية ومنها :

---

[1]- نقوش الحجر النبطية ، سليمان بن عبد الرحمن الذييب , 166 .

[2]- انظر : المعجم النبطي دراسة مقارنة للمفردات والألفاظ النبطية ، سليمان بن عبد الرحمن الذييب , 28 - 29

[3]- انظر: - البراهين الحسية على تقارض السريانية و العربية ، 38 / الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية ، 146 / غرامطيق اللغة الآرامية السريانية 49 – 232 – 388 / اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، 79 - 118

[4]- اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، 80 / وانظر : 92

[5]- انظر :

- W.Gesenius: Hebrew and English lexicon of the old testament , 60
- O. E. Lindberg: Vergleichende grammatik , 75
- E. Drake : Discoveries in Hebrew... , 51
- C. Brockelmann: Kurzgefasste vegleichende Grammatik 169

وانظر : معجم مفردات المشترك السامي , 64

- في الآرامية الغربية : ܐܢܫܐ ʾenāš ، ܐܢܘܫ ʾenôš ، ܢܫܐ nāša ، ܐܢܫ nash .

- وفي السامرية : ⱑⱐⱍⱁ ، ⱑⱐⱍ . إنشه – إنش

- وفي التدمرية : ⱑⱐⱍ إنش ...

- ووزنها بروكلمان على فُعال qutāl .

وجعلها أغناطيوس إفرام سريانية الأصل أخذتها العربية منها " ܢܘܫܝܘܬܐ Noshoioutho جماعة من الناس ، و ܢܘܫܘܬܐ Noshoutho إنسانية " [1] . مع ملاحظة عدم نطق الهمز . كما يلاحظ في الكلدانية والسريانية والآرامية أنه تأتي أحيانا صيغة المفرد (إنسان) بنفس صيغة الجمع : ܐܢܫ [2] .

وفي العبرية كما ذكرنا (إنوش) بالهمزة الأصلية وربطه مراد فرج المحامي بالضعف وقصر الحياة واستدل باسم إنوس بن شيت بن آدم ... وقيل إنه قيل له ذلك لأنه أول من وحّد الله وسبحه بعد آدم لميزته الإنسانية ، وقيل أيضا لضعفه وعجزه أمام قوة الله [3] .

وأكدت نقوش الحجر النبطية تلك الصيغة أصيلة الهمز (أ ن و ش) وقد وردت مرات عديدة بعضها بالسين وبعضها بالشين [4] . وورد العلم المذكر (أ ن س) على وزن فعل " في النقوش اللحيانية والثمودية والصفوية ، وقد يكون حرف الألف في بداية الكلمة للتعريف وحرف النون والسين (ناس) فتكون الكلمة الناس أي أن صاحب النقش عمل النصب للمعبودة أمام الناس " [5] .

---

[1]- الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ، أغناطيوس إفرام الأول , 161

[2]- انظر : قاموس كلداني عربي ، المطران يعقوب أوجين منا , 29

L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , 13

G.W.Thatcher: Arabic grammer of the written language , 272

[3]- انظر : ملتقى اللغتين العبرية والعربية ، 3/ 32 – 33

[4]- انظر : نقوش الحجر النبطية ، سليمان بن عبد الرحمن الذييب , 188 – 192 – 254 – 296 / المعجم النبطي دراسة مقارنة ، سليمان بن عبد الرحمن الذييب , 27

[5]- نقوش لحيانية من منطقة العلا دراسة تحليلية مقارنة ، حسين بن علي دخيل الله , 221

obeikandi.com

ولم تترك العربية الجنوبية اللفظة إلا لتؤكد لنا أنها بالهمزة أيضا (أ ن س : أ ن س / أ س والجمع أ ن س : رجل إنسان ... "[1] . وجاء في المعجم السبئي as , ans والجمع ans : إنسان ، رجل ، ذكر[2] . كما ورد فيه antt, att ، والجمع antt , ant امرأة ، أنثى ، زوج . وورد فيه أيضا anty .. aty أنثى[3] .

وتؤكد النصوص المقدسة أصالة الهمز في اللفظ المذكور ، ففي القرآن الكريم :

- قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ** ﴾(القصص 28/ 29).

- وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾ (الأعراف 7/ 82).

- وقوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً** ﴾ (الإسراء 17/ 71) .

وفي التوراة وردت الكلمة أيضا : في سفر يونس[4] ، كما وردت في سفر عزرا ، الإصحاح 4 :11 : **עַבְדֶיךָ אֱנוֹשׁ** عبيدك أناس[5] .

(ʿabdāyeḵ ʾenāš)

- وفي سفر دانيال 2 : 10 :

לָא אִיתַי אֱנָשׁ עַל יַבָּשְׁתָּא : لا يوجد إنسان على اليابسة[6] .

(la ʾīty ʾenóš ʿal yavištā)

---

[1]- مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، محمد عبد القادر بافقيه وآخرون , 354

[2] -A.F.L Beeston : Sabaic dictionary 6

[3]- A.F.L Beeston : 7

[4]- دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال , 548

[5]- آرامية العهد القديم قواعد ونصوص ، يوسف متى فوزي وآخرون , 316

[6]- آرامية العهد القديم ، 300

obeikandl.com

- وفي إنجيل مرقس بالسريانية الإصحاح الرابع عشر :

ايةِ ڤَوَو دِن انُشُا كان ناس [1] . (ʾīt hwo den naŝā)مع ملاحظة وجود الألف أول الكلمة كتابة وسقوطها نطقا .

وخلاصة العرض السابق للكلمة العربية (ناس) أن أصلها الهمز (أناس) وسقط الهمز ودخلت لام التعريف فصارت الناس وهو ما يصدق ما ذهب إليه البصريون ومن سار على مذهبهم من أنها من (الأنس) وما تعطيه من دلالات مختلفة وليس ما قال به الكوفيون من (النوس) الذي يشير إلى التحرك والاضطراب .

ولعل هذا المعنى قد غاب عن الدكتور إبراهيم السامرائي فجاء بتحليل يراه الباحث تحليلا يعانقه الخيال والجدل الذي لا برهان له به . انطلق د. إبراهيم السامرائي من وجود الياء بدلا من النون في بعض الشواهد التي عرضناها من قبل فرأى أن " النون والياء قد جاءتا في الكلمتين لا على طريق الإبدال بل إن ذاك يأتي في العربية من فك المضاعف ... و على هذا نقول أن الأصل في (أنس) و(أيس) هو المضاعف (أسّ) وكأنه يومئ إلى الثنائي (أسْ) الذي يفيد الصوت " [2] .

وإذا كان الثنائي (أس) يفيد الصوت فما علاقته بالأساس ؟! ، وإذا كان له علاقة نجهلها بالأساس ، فما علاقته بالإنسان ؟ ! ؛ هذه العلاقات يراها د . إبراهيم السامرائي قائمة بالفعل حيث " كان المضاعف من هذه الكلمة الثنائية يدل على أول كل شيء وهو (الأس) و (الأساس) ... ومن هنا لنا أن نقول إن أصل الموجودات في التصور العربي القديم كان (الإنس) و(الإنسان) و(الأس) و(الأساس)"[3] .

والأمر لا يقف عند (أس و أساس) بل نراه ينتقل إلى صيغة أخرى هي (أيْس) التي تدل على معنى (يوجد بالفعل) ومنها جاءت (ليس) أي : لا يوجد مخففة ، ولكني لا أفهم كيف انتقلنا من (أس) و (أساس) إلى أيس بمعنى الوجود ، ويتعجب د.السامرائي من تقصير اللغويين في فهم ذلك وعنده أن

[1]- في قواعد الساميات , 289
[2]- معجميات ، إبراهيم السامرائي , 229
[3]- معجميات ، 230

اللغويين " لم يشقوا في النظر إلى (أيش) و (أيس) ولو أنهم شدوا شيئا من أخوات العربية من اللغات التي تدعى (السامية) لأدركوا أن الوجود في (أيس) عرفته العبرانية في (أيش) بمعنى الإنسان و (إيث) في الآرامية القديمة في المعنى نفسه " [1] .

والأمر حتى الآن ربما يقبل الجدل ، ولكن الذي أراه جدلا غير منطقي مطلقا " أن نقول أيضا أن (أيس) بمعنى الوجود لابد أن كان فيها لغة أخرى بالشين هي (أيش) وهي من غير شك انتهت إلى شيء " [2] . !!!

وبعد ما قدمه الباحث من مقارنات سامية بخصوص (أناس) أرى أن كل هذه الآراء التي ساقها الدكتور إبراهيم السامرائي في رأي الباحث تنتهي إلى لا شيء !! .

[1]- معجميات ، 230
[2]- معجميات ، 230

obeikandl.com